صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية شهرية

دمشق – ص.ب (٢٥٧٠) هاتف ٣٦٢٩١

العدد الاول

ايلول

١٩٦٤

السنة السادسة

ماضعت وحدك

شعر: سليمان العيسى

إلى روح صديقي الفنان .. ادهم اسماعيل

وبعد، فلن نجد ما نفتتح به هذا العدد أروع من هذه القصيدة نضعها بين أيدي القراء، إنها دمعة الشعر على الفن، إنها رائعة الشاعر سليمان العيسى في صديقه الفنان الراحل أدهم اسماعيل.

التحـــرير

تَهَبُ النعيمَ كما تشـاءُ وتُبْدِعُ
سِيَّـــانِ ضَمَّكَ رَفْرَفٌ أم بَلْقَعُ
تَهَبُ النعيمَ .. وما أعفَّكَ واهبـاً
يُعطي لِيُنكرهُ العطاءُ ويُوسِعُ !
هــذي الخطوطُ بمقلتيَّ تكسرت
وتوهجتْ .. فالليـلُ جمر يسطع
أتموت؟ كلُّ ضفيرةٍ من «خولةٍ»[1]
صوتٌ يحدثني .. ودنيـــا تخشعُ
وأُغطُّ في «غَسَقِ الألوهة» ريشتي
غَسَقٌ بأعمـاقِ الألوهـة يلمعُ

بيتي، وأغلى ما يضمُّ «قصيدةٌ»
فوقَ الجدارِ .. بسحرِ صمتكَ تسجَعُ
أرنو .. أضيعُ على ضفافكَ شارداً
وأُهيبُ بالمـاضي الشريد فيرجِعُ
بيني، وبينك عُزْلَةُ الأَبـدِ الذي
يجثو على أحلامنـــا . ما يُقلِعُ
حَجَرٌ على حَجَرٍ أَصمَّ .. وانني
لأَلُمُّ صوتكَ في الخطوطِ وأسمع
«ألفارس العربيُّ» صبوةُ شاعرٍ
عطشانَ . يعتصر الخلودَ ويكرَعُ
رُمْحٌ يُسمِّر في النجوم سنانَه
وعلى جَنـازةِ كِبْره .. يتمزَّعُ

(١) «خولة»، «غسق الألوهة»، «الفارس العربي»، من لوحات الفقيـد الأولى، في بيت صديقه الشاعر.

أرنو.. أَضيعُ على الضفافِ ، وأنثني
بصدى الطفولةِ في دمي يَترَجَّعُ

السافحون على الدروب عيونَهم
وقلوبَهم ، والموتُ سوطٌ يلسعُ

الراحلون مَعَ الأصيلِ.. تَرعرعوا
لحناً على شَفَةِ العذابِ وأيفعُوا

وألَمُّ فاجعةَ « اللواءِ » قصيدةً
وتَلُمُّها لوناً يَقُصُّ.. فَيُفجِعُ

★ ★ ★

ياشاعراً عَبَرَ الوجودَ سحابةً
غَدَقاً.. وتخجَلُ أن يُحِسَّكَ موضعُ

عشنا.. وزادُكَ الرفاق تحيةٌ
نُبْلُ الإلهِ بصمتها يتضوَّعُ

نلقاك في صَخَبِ الحنينِ ، وصورةٌ
تَهوي اليك ، وصورةٌ تتمنَّعُ..

وتُجيلُ طرفَك ، فالبطولةُ لوحةٌ
والحبُّ ، والصَّبَوات كوبٌ مُترَعُ

وتروحُ في غيبٍ يَعِزُّ على الرُّؤى
غَيْبٌ يُضيء به الشقاءُ ويُمْتِعُ

فاذا رجعتَ الى الرفاقِ فعالَمٌ
حُلْوٌ من الشعر المصفّى يَرْجِعُ

★ ★ ★

أرفيقَ أحلامي ، ونحنُ طفولةٌ
في الدرب ، من حَسَكِ المرارةِ نَرْضَعُ

تتجهَّمُ الدنيا ، وتَيْبَسُ حولنا
وندقُّ صخرَ الكبرياءِ فَيَنْبَعُ

ما ضَرَّنا قبرٌ سَلَخْنا عمرَنا
فيه ، وقبرٌ في دجاه نُوَدِّعُ !

أيمانُنا تَهَبُ الكنوزَ وبيتُنا
هذا الوجودُ. لَنحنُ منه أوسعُ

سَلْها عروشَ الزائلينَ.. ألم تزلْ
عَبْرَ القرون.. ببابنا تتسكعُ ؟

بقصيدةٍ سكرى ، بضربةِ ريشةٍ
تتنفّسُ الأرضُ اليَبابُ ، وتسمعُ

★ ★ ★

يا فارسَ اللونِ المخضَّبِ ، بالشذا
بترابنا العربيِّ.. وهو مُوَزَّعُ

ماضعتَ وحدكَ في بلادي ؛ كلُّنا
لحنٌ بزَوْبعَةِ الصِّغارِ مُضَيَّعُ

وَتَرٌ تَقَطَّعَ في الضبابِ ، وربما
جُثَتِ العصورُ لديه ، وهو مُقَطَّعُ

★ ★ ★

ياشاعري.. حتى يضيقَ بنا المدى
حتى جدارُ سمائنا يتصدَّعُ

ماذا أعيدُ ؟ وكلُّ ذكرى شَهْقَةٌ
في جانحيَّ .. وكلُّ همسٍ مَقطَعُ
انا ما ازال ثُمالَةً من نغمةٍ
بفم الضَّياع غريبةً تتقطَّع
ألقي بسري للرياحِ ، لصخرةٍ
وأحاطُ بالزَّهوِ الرخيص ، وأسفعُ
ماذا أعيد ؟ طريقُنا غُصَصُ الهوى
تنهدُّ خاتمةٌ ، ويبدأُ مطلِعُ ..
قَبْوان أسكرنا المرارةَ فيهما
لحناً يُضيء ، وريشةً تترفَعُ
قبوان . كانا كل ما سَمُحَتْ به
ارضٌ زرعناها النجومَ .. ونزرعُ
ألكافرانِ .. وما كفرنا مرةً
بهما ، ونجرعُ منهما ما نجرعُ
ألكافران .. ترابُنا وهواؤُنا
صُنَّاعُ خُلْدِهما : صَدٍ ، ومُروَّعُ
يتألَّه الملقُ الغبيُّ ، وتنطفي
شُعَلُ الألوهةِ في الكهوفِ وتُصرعُ

★ ★ ★

يا شام ! ياهبةَ السماء ؛ كبيرةٌ
أن يُعوِزَ الابداعَ حولكِ مَضجَعُ
أعطاكِ ، لم يبخَلْ ، فهلاّ بسمةٌ
للعبقرية ، للبراءةِ ، تفزَعُ !
أَعْطَاكِ ، لم يبخَلْ ، وان كنوزَهُ
لأعزُّ ما تَهَبُ السماءُ ، وأرفعُ
ويُحشرجِ الابداعُ . يَشهقُ . ينطفي
لم تلتفتْ عُنُقٌ .. وتوميءُ إِصْبَعُ ..

★ ★ ★

ياشاعري ، تَعِبَ المساءُ ، وغُصَّتي
كلهيبِ لونِكَ في دمي ماتُنْقَعُ
كغدائرِ النار التي أرهقتَها
حُسْناً ، على أسرار « خولَةَ » تَهْجَعُ
كربيع عينيها .. وقل لي .. بالهوى
ماذا سقيتَها ؟ وماذا تَصْنَعُ ؟
سرٌّ حملتَ إلى الخلودِ حجابَهُ
وتركتَ مايُذكي الحنينَ ويُولِعُ .
ياشاعري ، ورفيقَ دربي في الاسى
أبهى عطاؤكَ في الضريح وأسطَعُ
لي في سماواتي الصغيرةِ أنجُمٌ
مما تركتَ .. بجانبيَّ تُشَعْشِعُ
انا والغدائرُ ساهرانِ .. وفوقنا
وَتَرٌ آلهيٌّ الرفينِ يُوَقِّعُ
وتُطِلُّ بسمتُكَ الخضيبةُ بالشذا
فالليلُ كونٌ بالعُذوبةِ مُترَعُ

حلب : ٤ نيسان ١٩٦٤

سليمان العيسى

الانسان يفتح باب الأبد

* بقلم الدكتور عبد الكريم اليافي

كان جميل الطلعة معتدل القامة أدعج العينين عميق النظر أسود الشعر سبط اللحية نقي الثياب له اعتداد بنفسه وثقة بذكائه وزهو بعبقريته مع حلاوة في الطبع ودماثة في الخلق وتسامح مع الناس إذ كان يشعر بتفوقه عليهم حكاماً وعامة .

عاش في القرنين السادس والسابع الهجريين أو الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين وعمر طويلا . ذرع البلاد العربية من غربيها الى شرقيها ومن جنوبيها الى شماليها ، فقد ولد في الاندلس ونشأ وتعلم وطاف في ربوعها وقدم المغرب فأقام فيه مدة مديدة ، ثم عن له أن يقصد المشرق فرحل الى تونس ثم الى مصر ثم يمم وجهه شطر الحجاز ولبث فيه برهة ثم أم بغداد وطاف بالموصل ثم بلغ الى بلاد الاناضول وأقام حينا بقونية ثم أنتهى به المطاف الى لؤلؤة الدنيا دمشق فاتخذها موطناً حتى وافاه الاجل. كان يبدو في طوافه راحلا كالمقيم ومقيما كالراحل ، فمثله في ذلك مثل البحر تراه متحركا وهو ساكن وتحسبه ساكنا وفيه تيارات دائمة . كان يحير الناس بخفي آرائه وواسع علمه وبعيد نظره . ولا غرو اذا كان هو نفسه كثيرا ماينشد :

تركنا البحار الزاخرات وراءنا
فمن أين يدري الناس أين توجهنا

ذلكم هو على حد تعبير أحد شراحه « بحر المعارف الالهية وترجمان العلوم الربانية الشيخ الاكبر والقطب الافخر الشيخ محيي الدين بن العربي الطائي الاندلسي » وتلكم هي الذروة التي رقي اليها التصوف والفلسفة صنوين مجتمعين يمد أحدهما الآخر بمائه ويغذيه بنسغه ويتممه بروائه .

كتب ما يقرب من ثلاثمائة رسالة وكتاب منها ماهو صغير لا يتجاوز عشرات الصفحات ومنها ماهو واسع مستفيض يزيد على ألوف الاوراق . ومن أشهر كتبه وأهمها الفتوحات المكية بدأ به في مكة وأكمله في دمشق . وهو موسوعة صوفية قل مثيلها في جميع اللغات لا في اللغة العربية وحدها . يقول الشيخ عبد الوهاب الشعراني في هذا الكتاب : « اني قد طالعت من كتب القوم مالا أحصيه وما وجدت كتابا أجمع لكلام أهل الطريق من كتاب الفتوحات المكية لا سيما ما تكلم فيه من أسرار الشريعة وبيان منازع المجتهدين التي استنبطوا منها أقوالهم . فان نظر فيه مجتهد في الشريعة ازداد علما الى علمه واطلع على أسرار في وجوه الاستنباط وعلى تعليلات صحيحة لم تكن عنده وان نظر فيه مفسر للقرآن فكذلك أو شارح للاحاديث النبوية فكذلك أو متكلم فكذلك أو محدث فكذلك أو لغوي فكذلك أو مقرىء فكذلك أو معبر للمنامات فكذلك أو عالم بالطبيعة وصنعة الطب فكذلك أو عالم بالهندسة فكذلك أو نحوي فكذلك أو منطقي فكذلك أو صوفي فكذلك أو عالم بعلم حضرات الاسماء الالهية فكذلك أو عالم بعلم الحرف فكذلك فهو كتاب يفيد أصحاب هذه العلوم وغيرها علوما لم تخطر لهم قط على بال » . ولا شك أن كتاب الفتوحات المكية أهل لهذا الثناء الذي صاغه الشيخ

الشعراني فيه . فهو متعدد الجوانب جم الفوائد عالي المكانة . ومن أهم كتب ابن عربي بعد الفتوحات « فصوص الحكم » وهو يلخص فلسفته وآراءه تلخيصا مجملا يعتمد على الاسلوب العقلي من جهة وعلى الرمز من جهة أخرى وقد حظي بشروح كثيرة لاتزال معتمد الذين يريدون أن ينفذوا الى كنه فلسفة الشيخ الاكبر . والى جانب هذين الكتابين رسائل لابن عربي كثيرة طبعت طائفة منها في البلاد العربية وفي الهند تجلو نقاطا من فلسفته الصوفية وتعين على تفهم هذ العلم الشامخ من اعلام الفكر الانساني قاطبة .

وبسبب اتساع فلسفته الصوفية وجرأته في بعض الاعتبارات الفكرية وتأويله بعض الآثار الدينية لقي مقاومة ومناوأة كبيرتين من العلماء السلفيين الذين كانوا حريصين على صفاء الشريعة . ولسنا هنا في بيان الاختلاف بين هؤلاء العلماء والصوفية ، وانما نريد أن نعرض أطرافاً من آراء الشيخ محيي الدين الذي لقي في مقابل ذلك اعجابا واحتراما لاحد لهما بين المتصوفين وعلماء الطريق .

أبرز آراء ابن عربي إشادته بعظمة الانسان وإعلاؤه لمكانته في الكون كله وتنويهه بأهمية الدنيا وتعظيمه لشأن هذه الحياة التي نحياها فيها وكذلك تأكيده لأهمية الحواس والعقل لدى الانسان ، وذلك على خلاف ما يتصوره الناس عن التصوف والمتصوفة .

فالانسان أكمل المخلوقات وأعلاها في الكون ، وهو خليفة الله في الارض وبسبب هذه الخلافة التي بوأه الله اياها على الكائنات كلها لزم أن يكون له بعض صفات المستخلف له لان المنتدب المفوض ينبغي أن يشبه الذي انتدبه وفوضه في بعض الامر ليكون خليقا بهذا الانتداب والتفويض . ولقد خلق الله آدم أي النوع الانساني على صورته ومعنى ذلك بالتعبيرات الفلسفية الحديثة أنه يملك حرية وفكرا بهما يستطيع أن يدبر أمور الكون ويصرفها التصريف المناسب ويحسنها ويدفعها الى الامام والى الاعلى ترقية لها وتكميلا وتحقيقا لصفات الالوهية في الارض ، ولكن الانسان ينبغي أيضا ان يكون من طبيعة الكائنات المستخلف هو عليها والتي وكلت أمورها به وفوضت اليه ، ولذلك لزم أن يتم تكوينه من تكوينها وان تتركب عناصر جسمه من عناصر أجسامها وتستند طبيعته الى طبائعها ، حتى يستطيع الاتصال بهاوالتأثير فيها ، ولهذا كان الانسان إلهيا بالفكر والحرية وطبيعيا بالجسم والتركيب وهو بذلك أيضا على حد تعبير ابن عربي الكلمة الفاصلة الجامعة إذ كان زيادة على جمعه بين ذينكم الجانبين يقف حدا فاصلا بين الله والعالم أو هو على حد تعبير آخر النسخة الموجزة للكون فيه قوى كثيرة روحية وحسية وكذلك في العالم مثل هذه القوى . ولاتصال الانسان بالجانب الالهي فكرا وحرية من وجه واتصال الانسان جسما وتركيبا بالطبيعة من وجه آخر جمع صفات الاضداد التي يتفنن ابن عربي في نسبتها اليه فهو حق وخلق وقديم وحادث وسرمدي وفان ومالك ومملوك وما الى ذلك . ولهذا كان الانسان في الحياة الدنيا أكمل نشأة من الملائكة ومن جميع الموجودات روحية وجسمية : بحريته يحقق من معاني الوجود مالا يحققه تكوين الملائكة الروحي وما تعجز عنه طبائع الكائنات الاخرى العنصرية والجسمية ولهذا أيضا ترتبت على الانسان مسؤولية كبرى وهي حفظ الكون والاشراف عليه وتدبير اموره تدبيرا حسنا قائما على إسباغ الفكر والحرية وتفويتهما فيه .

ولما كانت هذه الخلافة التي للنوع الانساني على العالم حاصلة في الحياة الدنيا لزم أن تكون نشأة الانسان في الدنيا أكمل وتعينت مكانة هذه الحياة الدنيا لانها ذريعة لتحقيق صفات الالوهية ولانها سبيل الى الخلود والابدية . وعلى هذا بدلا من أن نصدف عن الدنيا يجب أن نقبل عليها وبدلا من

أن نخربها ينبغي أن نعلي بنيانها الروحي المادي لان البناء الروحي المادي معا لا يكون إلا فيها . الانسان ابن الحياة الدنيا فكما هو مسؤول عن بر أمه كذلك هو مسؤول عن بر الدنيا أمه الكبرى ، ويتفنن ابن عربي في حفز الانسان على العناية بدنياه وتنظيمه اموره فيها وحسن رعايته لحقوقها في قالب تمثيلي جميل نحب أن ندع المجال للسامع أن يسمع ألفاظه أنفسها موجزة وبأسلوبه الصوفي لذلك العهد يقول مؤلف الفتوحات : « اعلم أن الدنيا أكمل نشأة من الآخرة لأن الدنيا دار تمييز واختلاط وتكليف والآخرة دار تمييز فقط ولا يكون فيها تشريع قط كما في الدنيا » ثم يقول : « إن الله تعالى قد أمرنا بالاحسان الى أمهاتنا وعدم عقوقهن فما قام بذلك الادب الاقليل" من الناس . ومعلوم ان الدنيا هي أمنا التي ولدتنا ، فاذا قال الواحد منا لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه عز وجل كما ورد في الحديث ومن لعن أمه فهو عاق لها بلا شك . ولبتأمل الشخص شدة أدبها وحنوها على أولادها في قولها لعن الله أعصانا لربه فما قـدرت أن تلعن من لعنهـا بحكم التعيين ولا على أن تسميه باسمه . وهذا من حنو الوالدة وشفقتها على ولدها . وفي الحديث الدنيا مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشـر فوصفها بأنها من شدة حنوها على أولادها تذكرهم بالشر وتهرب بهم منه وتزين لهم الخير وتسوقهم اليه فهي تسافر بهم وتحملهم من موطن الشر الى موطـن الخير كل ذلك لشدة مراقبتها الى ما أنزل الله تعالى فيها من الاوامر الالهية المسماة شرائع فيجب أن يقوم بها أبناؤها ليسعدوا . فواعجبا منا كيف لم تتبع أخلاق أمنا ولا وقفنا عند حدود ربنا كما وقفت أمنا فينبغي لكل عبد أن يراقب حال أمه . فان الطفل لا يفتح عينه الا على أمه ولا يبصر الا هي ولذلك كان يحبها ويميل اليها طبعا . ومن أخلاق الدنيا أنه لا يهون عليها نسبة أحد أبنائها الى الآخرة لأنها ما ولدتهم ولا تعبت فـي تربيتهم ومن عقوقنا لها أننا ننسب الشرور والانكال اليها . والحال أنها أحوالنا ماهي أحوالها والشر انما هو فعل المكلف لا فعلها هي . ومن أشد ماعليها هي أيضا نسبة أولادها كل ما يفعلونه من الخير الى الآخرة مع أنهم ما عملوا ذلك الا في الدنيا » ولقد أطلنا في تلخيص ذلك النص البديع لبيان أسلوب المؤلف وقوة تمثيله في شرح آرائه الفلسفية في اطار ديني يقبله الناس

ولا نستغرب بعد هذا أن يؤكد ابن عربي أهمية الحس والحواس في هذه الحياة الدنيا التي نحياها وعلى أنها وسيلة للمعرفة . وهو يعمد الى ذلك بطرق مختلفة يمزج فيها المحاكمة العقلية والتمثيل المقبول بالرد على الذين خفضـوا من شأن الحواس كالسوفسطائيـة . يقول بصدد ذلك : « مادخل التلبيس على السوفسطائية الا من تشكيك إبليس لهم في الحواس وادخال الغلط عليهم فيها وهي التي يستند اليها أهل النظر في صحة أداتهم . فلما أظهر لهم إبليس الغلط في ذلـك قالوا ما ثم علم أصلا يوثق به . فان قيل لهم فهذا علم بأنه ما ثم علم فمـا مستندكم وأنتم غير قائلين به قالوا وكذلك نقول إن قولنا هذا ليس بعلم هو من جملة الاغاليط » . ثم يقول : « وأما نحن فقد حفظنا الله من ذلك فلم نجعل للحس غلطا جملة واحدة . وإنمـا الحاكم على الحس هو الذي يغلط ، كصاحب المرة الصفراء يجد طعم العسل مرا وليس هو بمر في نفسه بدليل ذوق غيره للعسل ووجد انه الحلاوة . ولو أن صاحب المرة أصاب لعرف العلة فلم يحكم على السكر بالمرارة وعرف أن الحس الذي هو الشاهد مصيب علـى كل حال وأن القاضي علـى الحس يخطـىء ويصيب » . ويقول ابن عربي أيضا : «لولا الحواس لبطل القياس » .

ومن هذا كله أيضا تستبين لنا مكانـة أعمـال الانسان وأقواله في حياته لانها وسيلة الى تحقق ←

الصمت الأزلي

تتمة

قصة: عدنان الداعوق

ـ من هنا تستطيعين ان تشاهدي كل شيء يا حبيبتي .. اقتربي قليلا . اقتربي .. مشت نحوه وحين صارت بقربه تماما ، استطاعت ان ترى بوضوح المنظر الذي يراه وهما في أعلى الجبل ..

الاصيل الجميل يخدر الكائنات جميعا ، ومنظر الشمس وهي عند المنحدر تلقي على الدنيا بشعاع الوداع . انه وداع جميل ، كم يشبه وداع الامس ووداع الماضي البعيد .. كان يقف في نفس هذا المكان منذ سنوات بعيدة يرقب المنظر ذاته لايتغير .. ولكن شعوره آنذاك كان يختلف تماما عنه اليوم .

كان ما يزال فتى غرا، الدنيا عنده مغامرة عاطفية.. ففي عصر كل يوم جميل كان يتأبط ذراع حسناء ويضعها في سيارته ، ويتسلقان الجبل ويصلان الى النهاية ويطلان من أعلى القمة ويودعان معا الشمس وهي تزحف بحياء نحو مجهولها .. فهناك آخرون دوما يترقبونها .. وبقلق ينتظرون ان تطل على عالمهم كما أطلت على عوالم غيرهم .

وحين تبتدىء الشمس تلوح عند آخر الرحلة ، الرحلة الطويلة ، بأشعتها المتباينة ، يكون هو قد ضم حسناءه الى صدره ، وتحل لحظة جديدة عليه . هي لحظة اللقاء .. وفي هذا التناقض العجيب بين اللقاء والوداع كان يحس بوجوده ويدرك انه مايزال يعيش .

وتظل اللحظة الصامتة تغرق في نشوة القبلات المحمومة .. والسكون يطبق عليه ، فلا تنفرج الشفتان عن كلمة . عن أية كلمة .

ويبتدىء طيف جديد ثقيل يحل . يكون ذلك الظلام .. فيتأبط ذراع حسنائه ثانية ويعود بها منكسرة الى سيارته دون أن يتكلم . ويعودان معا والصمت رفيقهما هذه المرة .

الوجود . وهو يقول : «احذر ان تحتقر شيئا من عملك فان الله مااحتقره حين خلقه وأوجده وما كلفك بفعل أمر إلا وله بذلك الامر اعتناء وعناية حتى كلفك به مع كونك أعظم في الرتبة عنده من حيث كونك محلا لما كلفك به من الفعل وسببا لوجوده . فلولاك ماظهر للعمل صورة . وعليك بمراعاة أقوالك كما تراعي أعمالك . فان قولك معدود من جملة أعمالك » .

فابن عربي إذن يضع المسؤولية بين يدي الانسان ويطوق بها عنقه ويلزمه بها يقول : صورة الانسان بعد الموت تتنوع بتنوع أحواله في الدنيا . فكن على أحسن الحالات تكن على أحسن الصور .

وهكذا تتبدى لنا أهمية فلسفة ابن عربي الصوفية إذ نبهت على مكانة الانسان في الكون وعلى رفعة فكره وحريته وأكدت مسؤوليته الكبرى في تدبير أمور العالم وفتحت له باب الخلود على مصراعيه حين ألقت في يديه مفاتيح العمل الصالح والوجود الحق .

يعلن الشيخ الاكبر ذلك اعلانا جازماً حين يقول : « الانسان مفتاح كون الوجود وكون العبادات ، به ظهر الازل وهو يفتح باب الابد » .

وحين يدعها عند باب منزلها ، لايقول لها سوى عبارة واحدة :

ـ آمل أن يكون الوداع مؤثرا ...

وينطلق .

ويمشي قليلا وهو في أعلى القمة .. ويتدرج نزولا حتى يقف عند سفح شديد الانحدار ، ثم يلتفت اليها قائلا :

ـ أمل . اقتربي مني .. تعالي وشاهدي الروعة والجمال .. انه لمنظر عجيب .. الشمس تودع القمم برفق ، وترتخي بالتدريج في حضن البحر .. وتصطبخ اذ ذاك بلون ساحر مذهل .

وتهبط اليه « أمل » وبسمة الاعجاب تركع في خشوع على شفتيها اللتين اصطبغتا بلون الشمس .. وحاذته تماما ، واستندت الى ذراعه ، ثم مالت بجذعها قليلا الى الامام ، وهتفت تقول :

ـ باسم .. انظر الى أسفل ، كأننا معلقان في الفضاء .

وانقطع عن وداع شمسه قليلا . ونظر هو الآخر الى الاسفل ، كانا يقفان على صخرة هائلة مكسورة من سفح الجبل .. وتظل الصخرة تتكسر وتتكسر حتى تغيب فجأة في هوة بعيدة جدا يتوه فيها النظر وتضيع فيها الاصداء .

أغراه المنظر تماما ، وأبعده عن متعته الرائعة في وداع الشمس ، وأخذ يفكر ونفسه تحدثه بمنتهى الغموض ..

ماذا لو .. أيجوز ..؟ ثم الى أين سيصل صداها وهي تهوي ..؟

يالها من هوة عميقة رائعة .

لماذا لا تودع « أمل » هذه القمة وتظل تطير هبوطا هبوطا حتى تغيب بعيدا ولا أعود الى رؤيتها سبيلا .. ثم تعود فتشرق لي من جديد في الغد ، كما تفعل الشمس تماما ..؟

وتفتت تحت أقدامها ذرات متماسكة من التراب ، ثم حجرا صغيرا يهوي فجأة ، فيرتدان معا الى الخلف في ذعر شديد ، غير ان الحجر يتدحرج غير مذعور ولا خائف ، ويرتطم قليلا ثم يغيب .

ولذا هدأ الصوت ، وران الصمت أثر لحظة أرهبها الذعر ، عادا من جديد ، وعاد هو الى حديث نفسه ، وانشغل عنها ، وابتعد .

ليست سوى لحظة شجاعة ، وينحدر تحت قدميها هذا الحجر المكسور عن الصخرة الكبيرة ويبتعد هو خوفا وذعرا ، ولا تجد « أمل » وقتا لتبتعد ، فتسقط وتسابق الحجر نزولا بعد أن تكون يدها قد بحثت عن ذراعه المنقذة المردودة الى الخلف ارتعادا .

وانتفض « باسم » كأنه هو الذي سقط حين قالت له فجأة :

ـ باسم . هل سبق أن رأيت مرة انسانا يموت أمامك .. يموت بالتدريج دون أن تستطيع أن تفعل له شيئا ..؟

فاجأه السؤال ، وأخافه أن تتغلغل « أمل » هكذا الى أعماقه دون أن يدري ، أو يدفعها عنه .

وسكت ...

الجواب فوق شفتيه حائر ، كأنه طائر غر طرد من عشه بعد ان رماه صبي أحمق بحجر .

التفت الى منظره المعشوق ، الى شمسه الملوحة بجناحيها وهي تتخبط فوق البحر كالغريق الذي لايعرف العوم .. ولا تدركه النجدة .

ـ كلا .. لم أرقب الموت مرة في حياتي .. ولم أشاهده أبدا .

فابتسمت « أمل » ابتسامة العارف بكل شيء ، والتفتت الى منظر الشمس وقد غرق نصف قرصها المشتعل في جوف البحر ، واشارت بيدها نحوه ، وقالت :

ـ كيف لا .. وأنت لك هواية مراقبة الموت .. ألم تقل لي انك تحب هذا المنظر ، وتحب غالبا أن ترقبه بعينيك بنهم وفضول .. هي ذي شمسك وقد ماتت .. ابتلعها حوت كبير يسكن منذ الازل في قاع البحر . انظر يا « باسم » .. انظر .

صاح بجنون هائج .. وارتد الى الخلف ، وتلمس التراب واقتعد الارض ، وطمر وجهه براحتيه ولم يعد يرى شيئا .

في البحر . في أعماق البحر عرس يقام وعروس تزف الى عريسها .. أفراح هائجة وحوريات البحر يرقصن بنشوة عارمة ، وأطفال صغار ، وملائكة تطير ، وزهور بحرية تغرق قدمي العروس .. وموسيقى رائعة تنبعث من كل صوب وجهة .

وهو نفسه يمسك ذيل العروس الابيض الموشى ويزحف وراءها في نشوة طفل سحرته الرؤى وغابت عن ناظريه الامور .. فهو لا يرى الا البياض والزهور .. ولا يسمع سوى رجع الموسيقى بأصواتها واصدائها دون كل ما حوله من مختلف الصخب والضجة .

كان اسمها يومذاك « بسمة » .. وكان في الرابعة . وكانت في العشرين .. وبينهما اخت واخدة .

لم يكن يدرك يومها ما معنى الزفاف .. ولم ترتسم في خياله الصغير صورة واضحة له .. لكن اخته تتزوج .. وقد سمع قبل لحظات من بعض الناس حوله ، وقبل أن تصرع الموسيقى حواسه ، بأنها سوف تغادر البيت الى حيث لا رجعة اليه . وسوف تعيش هناك مع زوجها .. هذا الذي تكتحل عيناه بالبشر والسعادة والألق .

السنوات العشرون ستترك في المنزل مكانها . كرسيها المفضل في الحديقة .. يالكرسيها الجميل .. من سوف يسعدك في الجلوس فوقك .؟

اصصها المزهرة . يا لشقائها العاثر . من سيسقيها؟ بلبلها في قفصه المذهب . يا لوعة ايامه الآتية . لمن سيغني .. ولمن سيردد الحان الصفاء ؟

وفجأة تهدأ الاصوات .. وتموت الحركات .. وتنفجر الاصداء عن كآبة شديدة الصمت . صمت طويل يحل .. صمت أزلي كأنه عاصر أول انسان وطئت أقدامه الارض بعد طول تجوال .

وارتمت « بسمة » عند عتبة الدار قبل أن تبرحها .. وارتمى فوقها ثوبها الابيض وتناثرت عقدة الورد من يدها الى هناك .

وماتت البسمات على الوجوه .. وتغيرت أصوات الموسيقى ، وتعالى صخب جديد .. وتبدل فجأة كل شيء ..

الا ان شيئا واحدا فقط لم يتبدل ، ذلك هو ثوب عرسها الابيض الموشى .

وماتت « بسمة » في عرف الجميع الا انها بقيت في سر « باسم » حية ما دامت ترتدي الثوب الابيض .

أيقظته « أمل » وهي ترتجف مرتعدة ، وقالت له بسذاجة طفولية :

ـ أ أزعجتك يا باسم .. لم يكن قصدي أن أثيرك .. الا ان رأيي في الحياة كذلك .. ولعمري لم يثر في نفسي هذا المنظر الذي تعبده الا نهاية الرحلة الازلية لكل حي .. انني آسفة ياحبيبي . آسفة ..

ونهض من مكانه ، وقبل أن ينفض عن عينيه بقايا الدموع ، قال لها :

ـ ان لكل امرىء في الحياة نهاية .. هذا ما لا أشك فيه . ولكن النهاية في نظري انما هي بداية جديدة . أرجوك كفى .. وهيا نعود .

ركبا السيارة . وجلس خلف المقود بتمهل كثير ، وألقى من نافذة السيارة نظرة كأنما يودع بها عزيزا غاليا .

كانت الشمس كلها قد غابت في البحر ولم يبق منها الا شعاع ينبيء عن انها كانت من قبل هنا . أو هنا . أو هنا ..

وابتدأت عجلات الزمن تدور .. وعجلات السيارة تتدرج في الطريق .

لم يكن يرى أمامه شيئا . لقد صرعت حواسه الموسيقى .. والصخب بدأ يلف كل شيء ويحل رويدا حتى يغدو ضجيجا هائلا .

.. وباقات الورد تغمر الاقدام .. والبسمات الشاهقة فوق الوجوه تعبر عن كل الاحاسيس والعواطف .. ثم فجأة يتغير كل شيء .

وتنفجر الاصداء عن كآبة شديدة الصمت .

صمت طويل أزلي .. كأنه عاصر أول انسان وطئت أقدامه الارض بعد طول تجوال .

البصّارة

شعر: محمد الحريري

هززتُ لها الفنجانَ اسودَ داجيا
وقلتُ لهـا ياشمس جلي حياتيا
فصبتْ على الفنجان وهجَ لحاظهـا
تَقَصَّى خطوطا راسمـات احاجيا
وترسلُ انفاسا عليه لوافحـا
فتبعث فيه الحس اهوجَ عاتيـا
فثمة شكلٌ هبَّ كالليث واثبـا
إذا خطر الفنجانُ بالنهد لاهيـا
وثمة شكلٌ حام كالنسر جائعا
إذا شفـةٌ منهـا تدلَّتْ مجانيـا
وقالت : طريق خطها البين سمْحةٌ
ستسلكها يوماً إذا رحت ساريا
فقلت إلى عينيك ارجو امتدادها
لانهل من سحر العيون مداميـا
فقالت : افاعٍ في طريقك رُصَّـدٌ
فقلت : وهل يخشى السليم الافاعيا
فيا أذنَ الفنجانِ خُضلتِ شهوة
من اللمس فانهلي تندي اشتهائيـا
همت منك لذاتٌ مِلاء قداحهـا
على أنهـا وهمٌ ، جنون امانيـا
وكدت أمد الراح املأها جنىً
من الشهوات الحمرِ لو مُدَّ راحيا

مُبَصرتي ، طابت حواليك جلسة
وحنَّ مكان منك يدعو مكانيـا
سطعت على خصب الاريكة وردة
ترف عليها رعشةٌ من غراميا
ودُلّه نور الشمس فانساب زاحفا
ليلعق منك الزند ظمآن صاديا
نفثت بروح البيت سحراً فأُذهلت
عليه الزوايا بعدما كان صاحيا
مبصرتي ، عاشت خطوط تألقت
على وجهك الوضاء تُحيي المعانيا
تأنق خط دوَّرَ العـين وانبرى
يُنَصّبُ انفا بين خديك ساميـا
واهوى فشق الثغر فُلقة درة
وضرَّجـــهُ من جمرة في فؤاديا
دعيني أبصرْ في محياك حاضري
ومستقبلي والمشتهى من رجائيا
فبسمتك الغراءُ لمحُ سعـــادتي
ورقّةُ جفن منك رَوْح بقائيـا
فحظي على خديك والثغر حائم
وليس على الفنجان حظيَ طافيا
فان تدعي ثغري يلملمُ حظَّه
فانيَ بعد الفقر أبني ثرائيا

أدب المناظرة في العصر العباسي

بقلم الدكتور صالح الأشتر

تمهيد :

صدر حديثا عن المجمع العلمي العربي بدمشق طبعة نقدية ممتازة كتاب (الحيدة) للاما عبد العزيز بن يحيى الكناني المتوفى سنة ٢٤٠هـ ، بتحقيق الاستاذ الجليل الدكتور جميل صليبا .. وقد كانت فرحتنا بصدور الكتاب عظيمة حقا ، فقد أصبحنا اليوم نملك طبعة علمية لهذا الكتاب النفيس بعد أن كان رهين التصحيف والتشويه في طبعاته التجارية القديمة ، على أنها كانت نادرة الوجود أيضا (١) .

لهذا الكتاب قيمة كبيرة لانه وثيقة هامة تصور جانباً من أدب المناظرة في العصر العباسي ، وسنحاول في هذه المقالة أن نرصد قيمة الكتاب ونقدم عرضا ملخصا لما فيه، ليعرف قراء(الثقافة) فضله ويحرصوا على الانتفاع به .

يرسم الكتاب صورة من صور الحركة الفكرية في عصر المأمون ، أزهى مرحلة من مراحل العصر العباسي، وهو قطعة نفيسة من أدب المناظرة والمحاورة ، وكانت مناهج البكالوريا عندنا قبل عقدين من السنين تفرض على الطلبة دراسة مختارات من الكتاب ، ليروا فيها مشهدا من مجالس الجدل الفري في تاريخنا .

والكتاب يثير مشكلة من أهم المشاكل الفكرية في الاسلام ، وهي المشكلة التي أثارها المعتزلة بدعوتهم الى القول بخلق القرآن ، وعندما استطاعوا أن يكسبوا عددا من الخلفاء العباسيين الى مذهبهم أصبح القول بخلق القرآن عقيدة الدولة خلال عشرين عاما من حكم المأمون والمعتصم والواثق .. والعجيب أن يقود المعتزلة وهم أحرار الفكر في الاسلام سيف الارهاب لارغام المفرين على القول بدعوتهم ، وأن يلقوا بخصومهم في السجون ، وأن يصبوا عليهم كل ألوان المحنة والبلاء ، وكذلك مزقت السياط جسم الامام أحمد بن حنبل وقضى سنة ونصف السنة في غياهب السجون ، في سبيل هذه المشكلة الفكرية التي لايكاد تاريخ الاسلام يعرف لها مثيلا !

والكتاب بعد ذلك ذو أسلوب رائع ، من النمط العالي في الجودة ، يرق حينا ويسهل حتى يقف القارىء مشدوها أمام بساطته ويسره وموسيقيته ، وهو يعرض أفكارا فلسفية لم تغب عنها أصابع أرسطو ، وقد أحكم الكناني صياغتها فجاءت مزيجا فائقا من الادب والفلسفة ، امتزجت فيه الثقافة العربية الخالصة بالثقافات الاجنبية الاخر .

★ ★ ★

قبل أن ننتقل الى المناظرة يحسن ان نقدم (أشخاصا) وهم :

١ ـ عبد العزيز بن يحيى الكناني « رجل" مكي" من أهل الحديث والسنة ، غربي" من قبيلة كنانة ، أجمع كل من ترجم له ، كالخطيب البغدادي وابن حجر العسقلاني ، على انه « كان من أهل العلم والفضل » ، وهو ينهض في المناظرة بتمثيل أهل السنة في رد القول بخلق القرآن .

٢ ـ بشر بن غياث المريسي : أعجمي من الموالي ، من رؤوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن ، في بغداد ، وهو يمثل في المناظرة رأي شيعته من المعتزلة .

٣ ـ محمد بن الجهم : معتزلي ، له في المناظرة دور صغير الى جانب بشر المريسي .

٤ ـ المأمون : سابع الخلفاء العباسيين ، امتدت خلافته من عام ١٩٨ الى ٢١٨هـ ، وفي آخر خلافته

---

(١) أشار الدكتور جميل صليبا الى احدى النسخ المطبوعة بمطبعة السعادة بمصر (انظر المقدمة ص٤٦) ونضيف الى ذلك أن الكتاب طبع مع مجموعة كتب أهل السنة سنة ١٣٢٥هـ ثم طبعته المطبعة الحسينية مفردا في كتيب صغير .

بدأ القول بخلق القرآن ، وهو ينهض في المناظرة بمهمة الحكم بين المتناظرين ، وهو – كما يصوره الكتاب – حكمٌ هادىء نزيه منصف ، أو كما يصفه الدكتور صليبا بقوله : « كان عقله معتزليا وقلبه سلفيا ، فلم يشأ أن يطفي عقله على قلبه ، ولا قلبه على عقله » .
(انظر المقدمة ص : ٣٩)

★ ★ ★

تبقى هنالك ملاحظة لا بد من عرضها قبل الوصول الى المناظرة ، وهي مأثير حول (الحيدة) وصحة نسبة الكتاب الى عبد العزيز الكناني ، فالذهبي في (ميزان الاعتدال) يقول : « لم يصح اسناد كتاب الحيدة اليه ، فانه وضع عليه إفكا » والسبكي في (طبقات الشافعية) يرى رأي شيخه الذهبي أيضا ..

وقد عرض الدكتور جميل صليبا لمناقشة هذا الرأي مطولا ، وانتهى الى القول بأن الكتاب في أصوله القليلة صحيح النسبة الى الكناني ، وأن المريدين والمؤيدين والنساخ أضافوا الى الاصول اضافات لم تغير جوهر الكتاب ، ولم تبدل معانيه ومقاصده .
(المقدمة ص : ٢٣)

★ ★ ★

مدخل الى المناظرة :

أقبل الرجل من مكة مع ابنه ، يدفعه الى بغداد إيمان يؤج في صدره ، فقد اتصل به وهو في مكة ماقام به بشر بن غياث المريسي ومحمد بن الجهم من القول بخلق القرآن ، وما جر ذلك القول على الناس من فتنة وارهاب ، واكراه وتعذيب ..

الرجل من كنانة ، ومن ذوي البأس والعلم في قومه ، نذر نفسه لله ، واستهان بالقتل في سبيله ، فترك أهله وذويه في مكة ، ومشى مع ابنه الى الله !

دخل بغداد في صبيحة الجمعة ، وسأل عن المسجد الجامع حتى أتاه ، وأقيمت الصلاة جامعة ، وسلم الامامة فاذا صوت رجل يدوى في المصلين :

– يابني ، ماتقول في القرآن ؟ فيرد عليه صوت جهوري :

– القرآن ياأبت كلام الله منزل غير مخلوق !

ويسمع المصلون ذلك فينفرون من الفتنة ، ويتواثبون للهرب من بطش السلطة . ذلك أنهم سمعوا ما لم يكن احد يجرؤ على اذاعته في الناس ..

ويقبض أصحاب السلطان على الرجل وابنه ويحملان الى عمرو بن مسعدة وكان في المسجد ، فيسأله من أنت ؟

– أنا عبد العزيز بن يحيى من مكة من بني كنانة !

– ما حملك على أن تقول بما قلت ؟

– القربة والزلفة الى الله ورجاء الوصول الى أمير المؤمنين والمناظرة بين يديه ليس غيرا .

– ولِمَ أعلنتَ وكان الاسرار أولى بك أن تسلكه ؟ فأجاب :

– أخاف ألا أصل بعد ذلك الى أمير المؤمنين !

وعين يوم اجتمع فيه جمع عظيم من العلماء القائلين بخلق القرآن في مجلس المأمون وحمل عبد العزيز اليه .. ولما أذن له بالدخول بدأ ينتقل من دهليز الى دهليز حتى صار الى الحاجب فسأله عن تجديد الوضوء فاستمهله حتى صلى ركعتين ثم دخل المجلس .. اليه الانظار وتتابعت الهمسات من كل جانب ورشقته العيون بالنظرات القاسية وسمع وهو في طريقه الى المأمون من يهمس في أذنه :

– يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا وجهه فوالله ما رأيت خلقا لله أقبح وجها منه(١) !

فأسرها عبد العزيز في نفسه ووقف على خطوات من السرير وألقى السلام على أمير المؤمنين ! فرد المأمون السلام واستدنا منه مرات حتى صار الى الموضع الذي يجلس فيه المتناظرون ثم أمر بالجلوس فجلس خائفا وجلا مرتعدا ، ثم سأله المأمون عن حاله ، يريد إيناسه وصرف الخوف عنه ، ثم تغافل عنه وسأل عمرو ابن مسعدة عن انتفاخ في بعض نقوش الجص من الايوان فأجاب عمرو : قطع الله يد صانعه فانه استحق العقوبة على عمله هذا .

ثم التفت المأمون الى عبد العزيز وقال :

– يا عبد العزيز لقد عرفت ما كان من أمر فأمرت بجمع مخالفيك لتناظرهم في حضرتي وفي مجلس أكون أنا الحاكم بينكم فان تتبين الحجة لك عليهم والحق معك اتبعناك وان تكن الحجة لهم عليك والحق معهم عاقبناك وان استقلت منذ الآن أقلناك ... ثم نادى المأمون بشرا أن يقوم الى مناظرة عبد العزيز فوثب بشر من موضعه كالاسد يثب الى فريسة فانحط عبد العزيز فوضع ركبتيه وفخذه الايسر على فخذه الايمن فكاد أن يحطمه فصاح عبد العزيز :

– مهلا فان أمير المؤمنين لم يأمرك بقتلي وإنما مأرك بمناظرتي ..

فصا حبه المأمون أن يبتعد عنه ثم قال :

---

(١) كان الكناني دميم الوجه وكان يلقب بالغول لدمامته !

– يا عبد العزيز ناظره على ما تريد واجتج عليه ، ويحتج عليك ، وتسأله ويسألك وتناصفا في كلامكما وتحفظا ألفاظكما فاني مستمع عليكما ..

فقال عبد العزيز : السمع والطاعة لأمير المؤمنين ولكني أحب أن أقول شيئا فهل يأذن أمير المؤمنين ؟ قال – قل كما تريد ! فقال عبد العزيز :

– يا أمير المؤمنين من أجمل من بلغك من البشر وأحسنهم وجها من جميع ولد آدم ؟

فقال المأمون بعد أن أطرق هنيهة :

– يوسف ! قال عبد العزيز :

– صدقت يا أمير المؤمنين فوالله ما أعطي يوسف على حسن وجهه جرارتين ، ولقد سجن وضيق عليه من أجل حسن وجهه ظلما بغير حق ، ثم كان ما كان من تعبيره للرؤيا وصدق نظره أن جعله الملك على خزائن الارض ، فكان ما بلغه يوسف كله بكلامه وعلمه الا بجماله وحسن وجهه ! قال الله عز وجل (فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين . قال اجعلني على خزائن الارض إني حفيظ عليه) ولى يقل اني حسن" جميل .. أجل يا أمير المؤمنين اني قبيح الوجه فأي عيب يلحقني في صنعة ربي ! لقد أنكر عمرو منذ قليل انتفاخ الجص في الايوان فعاب الصانع ولم يعب الجص !

فقال المأمون :

– العيب الاعلى الشيء المصنوع انما العيب على صانعه ! فقال عبد العزيز :

– صدقت يا أمير المؤمنين ان من همس في أذنيك عن قبحي لم يعب وجهي ، وليس له ذلك وإنما عاب خالق وجهي ! !

فتبسم المأمون وطلب من عبد العزيز أن يدخل المناظرة ولكن عبد العزيز يسأله عن الاصل الذي يعود اليه المتناظرون عند الاختلاف في الفروع فيطلب المأمون منه أن يذكر الاصل فيقول عبد العزيز : الاصل في ذلك يا أمير المؤمنين كتاب الله وسنة رسوله لاغير كما أمرنا الله قال تعالى :

(يا أيها الذين آمنو أطيعو الله والرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير" وأحسن تأويلا) فهذا تعليم" من الله وتأديبه واختياره ، ولقد تنازعت أنا وبشر وبيننا كتاب الله أولا وسنة رسوله ثانيا ، ثم لا شيء بعد ذلك ، ثم يكون القرآن بيننا بعض التنزيل لا بالتأويل لان من ألحد في كتاب الله زائدا أو جاحدا لم ينظر بالتأويل ولا بالتفسير ، ولقد قال تعالى لنبيه حين ادعت اليهود تحريم أشياء لم تحرم عليهم (فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) وقال (قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا) فانما أمر الله نبيه بالتلاوة ولم يأمره بالتأويل ، وانما يكون التأويل لمن آمن بالتنزيل فأما من ألحد بالتنزيل فكيف يناظر بالتأويل ؟

قال المأمون : فناظره بالتلاوة ونص التنزيل !

٣ – المناظرة :

قال عبد العزيز فأقبلت على بشر فقلت :

– يابشر ما حجتك أن القرآن مخلوق ؟ فقال بشر :

– تقول يا عبد العزيز القرآن شيء أم غير شيء ؟ فان قلت شيء فقد أقررت أنه مخلوق ، إذ كانت الاشياء وكلها مخلوقة بنص التنزيل ، وان قلت انه ليس بشيء فقد كفرت لانك تزعم أن حجة الله على خلقه ليس بشيء .

قلت :

– ما رأيت أعجب منك تسألني وتجيب عن نفسك ، اسألني وانا أحسن أن أجيبك ، وان ترد أن تخطب وتتكلم لتدهشني وتنسيني حجتي فلن ازداد باذن الله الا توفيقا ! فقال المأمون : اسمع يابشر من عبد العزيز جوابه !

فقلت :

– سألت يا بشر عن القرآن هو شيء أم غير شيء ، فان كنت تريد أنه شيء اثباتا للوجود ونفيا للعدم فنعم هو شيء ، وان كنت تريد أن الشيء اسم له وأنه كالاشياء فلا ! فقال بشر :

– ما أدري ما تقول ولا أفهمه ولا أعقله ولا بد من جواب يفهم ويعقل !

فقلت

– انك يا بشر لاتفهم ولا تعقل (إن شر الدواب عنه الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) (أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمى ومن كان في ضلال مبين) .. ولو فهمت وعقلت ما سمعت لكنت ممن أثنى عليهم الله (وإذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) و (وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) .

فقال المأمون : عد يا عبد العزيز فاشرح ماكنت قلت !

فقلت

– إن الله أجرى كلامه يا أمير المؤمنين على ما اجراه

على نفسه ، إذ كان كلامه من ذاته ومن صفاته فلم يتسم بالشيء ولم يجعل الشيء اسما من اسمائه ولكنه دل على نفسه أنه شيء وانه أكبر الاشياء اثباتا للوجود ونفيا للعدم وتذيبا للزنادقة الذين جحدوا معرفته وأنكروا ربوبيته من سائر الامم ، فقال لنبيه (قل أي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد" بيني وبينكم) فدل على نفسه أنه شيء لا كالاشياء ، وهو القائل (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ثم مدد أسماءه في كتابه ولم يتسم بالشيء ، وعدد الرسول أسماء الله تسعةوتسعين اسما فلم نجده يجعل الشيء اسما . ثم ذكر الله كلامه كما ذكر نفسه ودل عليه مثل مادل على نفسه ليعلم الخلق أن كلامه من ذاته وأنه صفة من صفاته فقال : (وما قدروا الله حق قدر اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء بهموسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) فذم الله من نفى أن يكون كلامه شيئا ليس كالاشياء كما دل على نفسه انه شيء وليس كالاشياء وقال (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قالأوحي إلي **ولم يوح اليه شيء)** ولما أراد الله أن يسمي كلامه أظهر باسم الكتاب والنور والهدى . قال (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس) ولم يقل : قل من أنزل الشيء الذي جاء به موسى ، ويجعل الشيء اسما لكلامه ، وإنما هو نور وهدى وشفاءورحمة وحق وقرآن وفرقان ! قال بشر :

— يا أمير المؤمنين قد أقر عبد العزيز أن القرآن شيء وادعى أنه ليس كالاشياء وقلت أنا إنه كالاشياء فليأت بنص التنزيل ، والا فقد صح قولي انه مخلوق إذ كنا جميعا قد اجتمعنا على انه شيء والله يقول (خالق كل شيء) بنص التنزيل !.

وهنا تعلو ضجة في المجلس وتتوالى الصرخات (جاء الحق وزهق الباطل) وطمع الناس في قتليفقلت بعد أن أمرهم المأمون بالهدوء :

— قال الله تعالى : (إنما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وقال (إنما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) وقال (إذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) فدل بذلك على أن كلامه ليس كالاشياء وانه غير الاشياء وأنه خارج على الاشياء . ولقد أنزل الله خبرا مفردا ذكر فيه خلق الاشياء كلها فلم يدع منها شيئا إلا ذكره وأدخله في خلقه ، وأخرج كلامه وأمره من جملة الخلق ، وفصله منها ليدل على أن كلامه غير الاشياء المخلوقة وخارج عنها فقال : (إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره **ألا له الخلق والامر** تبارك الله رب العالمين) وقال (ولله الامر من قبل ومن بعد) أي من قبل الخلق ومن بعده .. وهو يذكر انه خلق المخلوقات بقوله وكلامه فقال (هو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله **الملك**) وقال (وما خلقنا السموات والارض وما بينها الا بالحق) وقال (ماخلقنا السموات والارض ومابينهما لاعبين ماخلقناهما الا بالحق) فأخبر عن عن خلق السموات والارض وما بينهما فلم يدع شيئا من الخلق الا ذكره فأخبر عن خلقه أنه ماخلقه إلا بالحق وان الحق قوله وكلامه الذي به خلق الخلق كله ، وأنه غير الخلق وأنه خارج عن الخلق وغير داخل في الخلق ! فقال بشر :

— ادعيت أن الاشياء لا تكون الا بقولهثم جئتبأشياء متباينات متفرقات وزعمت أن الله يخلق بها الاشياء فأكذبت نفسك ونقضت قولك ورجعت عما ادعيت من حيث لا تدري وأمير المؤمنين شاهد عليك !

فقلت :

— زعمت يابشر أني جئت بأشياء ومتفرقات وادعيت أن الله خلق بها الاشياءوما قلت إلا ما قال الله عز وجل ، ولا أقول ان الله خلق الاشياء بقوله وكلامه وأمره وبالحق ، وهذه أربعة أشياء لشيء واحد ، لان كلام الله هو كلامه وهو أمره وهو الحق ! قال بشر :

— فأين هذا من التنزيل ؟ قلت :

— قال تعالى (وإن أحد" من المشركين استجارك فأجرت حتى يسمع كلام الله) وقال (وكذَّبَ به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل) و (أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك) و (وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا) .

وقال (حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا ، الحق) .

وقال (ذلك أمر الله أنزله إليكم) و (إنا أنزلناه في ليلة مباركة .. الى أن يقول : (امرا من عندنا إنا كنا مرسلين) يعني القرآن !

فقال المأمون :

— أحسنت ياعبد العزيز . فقال بشر :

لقد أقر يا أمير المؤمنين بين يديك أن القرآن شيء فليكن عنده كيف شاء فقد اتفقنا جميعا أنه شيء وقال تعالى (الله خالق كل شيء) فهذه لفظة لم تدع شيئا إلا أدخلته في الخلق ، وبذلك صار القرآن مخلوقا بنص التنزيل لا بتأويل ولا بتفسير !

فقلت :

ـ قال الله تعالى في قصة عاد : (تدمّر كل شيء بأمر ربها) فهل أبقت الريح يا بشر شيئا تدمره ؟ فقال بشر : لا ! فقلت :

ـ لقد أكذب الله عز وجل من قال هذا إذ قال (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) فأخبر أن مساكنهم كانت باقية بعد تدميرهم ، ومساكنهم أشياء كثيرة !

اسمع يا بشر قال تعالى (فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله) وقال (وقال وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) فهل تقر يا بشر أن لله علما كما أخبرنا أو تخالف التنزيل ؟

وهنا أحس بشر بالحرج ، فهو إن قال ان لله علما فسأسأله عن علم الله هل هو داخل في الاشياء المخلوقة أم لا ؟ وان أنكر لله علما فهو ينكر نص التنزيل فهو كافر .. وأخيرا قال لي :

ـ الله لا يجهل ! فقلت :

ـ ليس هذا جوابي يا بشر ، أنت حِدتَ عن الجواب !

« معنى الحيدة »

وهنا يسأل المأمون عبد العزيز عن الحيدة في كتاب الله وفي سنة المسلمين وفي لغة العرب فيأتي عبد العزيز بأمثله :

من القرآن الكريم : قال تعالى في قصة ابراهيم حين قال لقومه (هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون) وإنما قال لهم هذا ليذمهم ويعيب آلهتهم فعرفوا ذلك وعلموا أن الحجة لابراهيم عليهم في أي القولين أجابوا فحادوا عن جوابه وأتوا بكلام من غير أن يسألهم عنه فقالوا (بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون)

ومن سنة المسلمين : قال ابن الخطاب لمعاوية عندما قدم عليه فرآه يكاد يتفقأ شحما : يا معاوية ما هذه لعلها من نومة الضحى ورد الخصوم ! فقال معاوية :

ـ علمني وفهمني يا أمير المؤمنين فحاد عن جواب مسألة عمر .

ومن كلام العرب : قال امرؤ القيس :

تقول وقد مال الغبيط بنا معا
عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
فقلت لها سيري وأرخي زمامه
ولا تبعديني عن جناك المعلل

ولم يكن جوابه جوابا لها وانما حاد فأتى بكلام غيره .

« عود الى المناظرة »

وكذلك حاد يا أمير المؤمنين بشر في مسألتي عن الجواب . قال (إنه لا يجهل) ولست أسأله عن الجهل وإنما سألته عن العلم فليعر أن لله علما ! فقال بشر :

ـ ان نفى الجهل عنه هو اثبات العلم له ! فقلت :

ـ ان نفي السوء لا يثبت المدحة ونفي الجهل لايثبت العلم واثبات العلم ينفي الجهل ، وعندما مدح الله المؤمنين قال (إنما يخشى الله من عباده العلماء)

ـ قد حاد بشر عن جوابك ياعبد العزيز فهات لم يقل الذين لا يجهلون : فقال المأمون : ما عندك ، فقلت :

ـ اذا أقر أن لله علما سألته عن علم الله هل هو داخل في الاشياء المخلوقة حين احتج بقوله (الله خالق كل شيء) وزعم أنه لم يبق شيء إلا وقد أتى عليه هذا الخبر فان قال علم الله داخل في هذه الاشياء المخلوقة فقد شبه الله بخلقه الذين أخرجهم من بطون أمهاتهم لايعلمون شيئا أي أن الله كان قبل أن يخلق علمه كان جاهلا ، وهذه صفة المخلوقين والله أعظم وأجل أن يوصف بذلك ، وان قال علم الله غير داخل في جملة هذه الاشياء المخلوقة فقد رجع عن قوله وأكذب نفسه ، ولكنه لم يقل هذا وهذا وفر الى الحيدة !

فقال المأمون :

ـ أتقول يا عبد العزيز ان الله عالم ؟ قلب : نعم ! قال :

ـ فتقول ان لله علما ؟ قلت : نعم ! قال :

ـ فتقول ان الله سميع بصير ؟ قلت : نعم ! قال :

ـ فتقول لله سمعا وبصرا ؟ قلت : لا ياأمير المؤمنين قال :

ـ وكيف ذلك ؟ قلت : على الناس جميا أن يثبتوا ما أثبت الله وينفوا مانفى الله ويمسكوا عما أمسك الله عنه ! قال الله عن نفسه ان له علما فقلت ان له علما ، وأخبرنا أنه عالم بقوله (عالم الغيب والشهادة) فقلت انه عالم ، وأخبرنا أنه سميع بصير فقلت كذلك ، ولكنه لم يخبرنا أن له سمعا ولا بصرا ! فأمسكت عنه امساكه ! فسألني بشر :

تقول ان لله علما فأي شيء هو علم الله ؟ وما معنى علم الله ؟ فقلت :

هذا مما تفرد الله بعلمه ومعرفته ، فقال بشر :

ـ لا بد من جواب ، والا فأنت تحيد عن جوابي ، فأكون أنا وأنت في الحيدة سواء ! فقلت :

ـ انك لتأمرني أن أقول على الله ما لا أعلم ولا يعلمه أحدٌ قبلي ولا بعدي قال تعالى (إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله مالا تعلمون) وقال (ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) فقال بشر :

أخبرني يا عبد العزيز لو ورد عليك اثنان تنازعا في علم الله فقال أحدهما : حلفت بالطلاق أن علم هو الله ! وقال الآخر : حلفت بالطلاق ان علم الله غير الله ! فقالا لك : أفتنا في إيماننا وأجبنا عن مسئلتنا ما كان جوابك لهما ؟ فقلت :

ـ الامساك عنهما وتركهما وجهلهما وصرفهما بغير جواب ! فقال بشر :

ـ يلزمك وانت تدعي العلم اجابتهما واخراجهما من ايمانهما ! فقلت :

ـ وهل يجب علي أن أجيب كل من سألني عن مسألة لا أجد لها في كتاب الله ولا في سنة رسوله ذكرا ؟ فقال بشر :

يجب عليك ويلزمك أن تجيب ! فقلت :

ـ لو ورد علي ثلاثة نفر قد تنازعوا في المؤذن الذي أخبر الله عنه في كتابه بقوله (فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين) فقال احدهم حلفت بالطلاق أن المؤذن من الانس ، وقال الآخر حلفت بالطلاق أن المؤذن من الجن ، وقال الثالث حلفت بالطلاق أن المؤذن من الملائكة ، فأجبنا عن مسئلتنا وأفتنا في إيماننا ، أكان علي اجابتهم وذلك مما لم يخبر الله ولا رسول الله عنه ولا يوجد علمه في كتاب الله ولا في سنة رسوله ! فقال المأمون :

ـ ما هذا عليك بواجب ولا هو لك بلازم ، فقلت :

ـ فكيف يجوز الجواب عن علم الله وهو مما لم يوجد في كتاب الله ولا في سنة نبيّه ! فقال بشر :

ـ واحدة بواحدة سألتني أن أقر أن لله علما فلم أجبك ، وسألتك عما هو علم الله فلم تجبني ! فقلت :

ـ إنما تكون واحدة علي حقا لو أن بشرا يعلم ما سألتني عنه !

فقال المأمون : صدقت يا عبد العزيز فانتقل الى غيرها فقلت :

ـ يا بشر قال تعالى (واصطنعتك لنفسي) و (يحذركم الله نفسه) و (كتب ربكم على نفسه الرحمة) فهل تقر يا بشر أن لله نفسا ! فقال : نعم ! فقلت :

ـ اشهد عليه يا أمير المؤمنين ، ثم قلت : قال الله (كل نفس ذائقة الموت) فهل تقول يا بشر إن نفس الله داخلة في هذ النفوس التي تذوق الموت ؟ فقال بشر :

ـ أنت رجل متعنت ، إن كانت نفس الله غيرا أو هو هو فليست بداخلة في هذه النفوس ! فقال المأمون :

ـ قد وضحت حجتك يا عبد العزيز ، فاشرح لنا هذه الاخبار في القرآن ومعانيها وما أراد عز وجل ! فقلت :

ـ ها هنا مسألة الخاص والعام مما لا يفهمه غير العرب ، فلما قدم الله في نفسه خبرا خاصا أنه حي لا يموت بقوله (وتوكل على الحي الذي لايموت) أورد بعد ذلك خبرا مخرجه مخرج العموم ومعناه الخصوص فقال (كل نفس ذائقة الموت) فعقل المؤمنون عن الله أنه لم يَعْني نفسه مع هذه النفوس ، لما قدم اليهم من الخبر الخاص ! وكذلك قدم الينا في كتابه خبرا خاصا فقال (إنما قولنا اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) ففرق هنا بين القول والشيء والمخلوق الذي يكون بالقول مخلوقا ثم قال الله (خالق كل شيء) فعقل المؤمنون عن الله أنه لم يعن كلامه وقوله في الاشياء المخلوقة لما قدم من الخبر الخاص ! فقال المأمون :

ـ أحسنت فاخرجوا الى غيرها ! فقال بشر :

ـ قال الله تعالى (إنا جعلناه قرآناً عربياً) فهل أحدٌ يشك في أن معنى جعلناه خلقناه ؟ فقلت :

ـ يا أمير المؤمنين ذهب نص التنزيل الذي قال انه يأتي به ، ورجعنا الى المعنى والتأويل .

فقال بشر : لا تحاولن الهرب والمراوغة فقدوقعت ! فقلت :

ـ يابشر أخبرني عن (جَعَل) هذا أَحرْفٌ محكم لا يحتمل غير الخلق ؟ فقال :

ـ لا وما بين (جعل وخلق) عندي فرق ولا عند أحد غيري من سائر الناس من العرب والعجم ! فقلت :

ـ أخبرني عن نفسك ودع ذكر العرب وسائر الناس فأنا من الناس ومن الخلق ومن الرب ، وأنا أخالفك على ما تقول ، أخبرني يابشر هل تجمع معي أن (جعل وخلق) واحد لا فرق بينهما في هذا الحرف وحده أو في سائر ما في القرآن من جعل فقال بشر :

ـ بل مافي سائر القرآن من جعل وسائر مافي الكلام والاخبار والاشعار .

فقلت :

ـ أخبرني يا بشر عمن قال ان بعض ولد آدم خلق الله وأن الله أخبر بذلك في كتابه ، أمؤمن هو أم كافر ؟ قال بشر :

ـ بل هو كافر حلال الدم ! فقلت :

ـ قال تعالى (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) فأنت تقول ان الله يقول . (وقد خلقتم الله عليكم كفيلا) ولا معنى عندك غير ذلك فأنت كافر حلال الدم كما أفتيت لنفسك ! فقال المأمون :

ـ ما أقبح هذه المقالة وما أشنعها فحسبك فقد كفر بشر نفسه من حيث لا يدري ولا يعلم ما أتى ، فبين لنا أنت يا عبد العزيز وفرق بين (جعل وخلق) ! فقلت :

ـ ان جعل في كتاب الله يحتمل عند العرب معنيين : معنى (خلق) ومعنى (صيّر) ولقد فرق الله بين (جعل) الذي بمعنى (خلق) و (جعل) الذي بمعنى (صيّر) فأما (جعل) الذي هو على معنى (خلق) فقد جعله من القول المفصل فأنزل القرآن به مفصلا ، والقول المفصل يستغني به السامع اذا أخبر به قبل ان توصل له الكلمة بغيرها من الكلام إذ كانت قائمة بذاتها على معناها ، ومن ذلك قول الله (الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور) نسواء عند العرب قال (جعل) ههنا أو قال (خلق) لأنها قد علمت أنه أراد بها (خلق) لانه أنزله من القول المفصل . وأما جعل الذي هو معنى التصيير لا معنى الخلق فان الله عز وجل انزله من القول الموصّل الذي لا يدري المخاطب به ما أراد المخاطب حتى يصل الكلمة بكلمة بعدها ، فيعلم ما أراد بها ، وان تركها مفصلة ولم يصلها بغيرها من الكلام لم يفهم السامع لها ما يعني بها فمن ذلك قوله تعالى (يا داود انا جعلنا خليفة في الارض) فلو قال (انا جعلناك) ولم يصلها بـ (خليفة في الارض) لم يعقل داود ما أراد بخطابه . ومثل هذا كثير في القرآن ، متعارف عند العرب ، فاذا عدنا الى قوله (انا جعلناه قرآنا عربيا) وجدنا من القول الموصل وكان (انا صيرناه قرآنا عربيا) وانما دخل الجهل على بشر ومن لف لفه يا أمير المؤمنين لانهم ليسوا من العرب ولا علم لهم بلغة العرب (١) ! فقال بشر :

ـ لقد وضعت من شأن القرآن وقدرنه وسميته بأنقص الاسماء ووضعته بأخس الصفات وأقلها لان الله عز وجل سماه كتابا عربيا وسماه كريما فأخبر عنه أنه تام مفصل كامل بقوله (ما فرّطنا في الكتاب من شيء) وسميته موصلا ومفصلا انك لتقول العظائم وأمير المؤمنين يحلم عليك وهو يبقى لحلمه عليك ! فقلت :

ـ وهذا أيضا من جهلك لما في كتاب الله ، تذمني وتزعم أني سمعته ناقصا تريد أن تغري بي أمير المؤمنين وهو أعلم خلق الله بما قلته ، وما قلت إلا ما قال الله وما نسبت الى كتابه إلا مانسبه هو ، فقال (ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون) وقال (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) ولقد ذم الله من قطع ما أمر الله به أن يوصل ولعنهم وجعلهم من الخاسرين فقال (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) وذكر المفصل فقال (الر كتاب أحكمت آيات ثم فصلت من لدن حكيم خبير) وقال (فصلنا الآيات لقوم يفقهون) ولكنك يابشر تجهل كلام العرب وأساليبها !! فقال بشر :

ـ أو على الخلق أن يتكلموا لغات العرب ، ما تعبد الله الخلق بهذا ولا طالب أولاد العجم بلغة العرب ! فقلت:

فكلف الله الخلق بان يتكلموا بما لا يعلمون ؟ ادعيت العلم وتكلمت في القرآن وتأولت كتاب الله على غير ما عناه الله ! فقال بشر :

ـ هل تعبد الله الخلق بأن يعرفوا الموصّل والمفصّل وما يضر الخلق ألا يعلموا ذلك ولا يعرفوه ! فقلت :

ـ نعم قد تعبّد الله الخلق بأن يعرفوا ذلك لئلا يصلوا مالم يوصل الله ويقطعوا ما وصل . قال الله (شهد الله أنه لا إله) وقطع الكلام والصلة عامد كان كافرا باجماع الأمة ، وان وصلها كما وصلها الله كان صادقا . وقال تعالى (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) فلو قال رجل (إن الله لايستحي) وقطع الصلة عامدا كان كافرا حلال الدم

---

(١) يشير الدكتور صليبا الى المناظمة تمثل جانبا من الصراع الفكري الذي قام في بغداد بين الشعوبية والعرب ، ودليله على ذلك هزء الكناني بالاعاجم الذين لا يضمون اللغة العربية على حقيقتها (انظر مقدمة الحيرة ص ٣٩) .

البقية على الصفحة (٦٥)

أنا في الطريق

شعر

حامد حسن

تناغم صوته ودفيء ، بعد خفوت ولعثمة . وتوقدُ ناظراه بعد انطفـــاءة ، وترميد . واستحالت « التشرنة » والجفاف ، الى « نديـنةٍ » وربيـع وكان سؤال . . وكان جواب .

— مَن رَشّ دربك بالنجوم العاطرات ، وعبّأه ؟

وكساك ما بخِل الزما   نَ بهِ عليك ، وخبّأه

فعلى جبينك ، والشفا   هِ ، وفي عيونك لألأه !

يا للّهيب . . وكان أوْ   قدهُ الشبابُ وأطفأه !!

مَن عطر الكلِمَ الشهيَّ - اذا نطقتَ - وأدفأه ؟

نزل النعيمُ نديَّ جفـنِكَ هانئاً ، وتفيـأه

وتمرُّ خطوَ المطمئنِ على الدروبِ ، وأهـدأه

★ ★ ★

— أنا في نعيم كان حا   ولَه النعيم . . . فأخطأه

وأنا الشراعُ أضاع مَرْ   فأه ، وعاودَ مَرفأه

سأعيدُ هـذا العمرَ أفتنَ ما يكون ، وأهنأه

وألملمُ الدنيا ، وأكْتَسِنـهُ النعيمَ ، ومنشأه

أنا في الطريق إلى الجما   لِ الى الحياة . . إلى امرأة



* ياسين الفرجاني

شيء بعينيك من وحي الأساطير
أعيى مدارك إبداعي وتصويري

بحر من النور جدفت المنى فمضت
نشوى ، تهيم على بحر من النور

حادي الصبابة غناها فأطربها
سيري من الشوق في ركب الهوى سيري

لقياك ألف خيال علّ ينشدها
في زورق من ضيع الجن ، مسحور

هيمان يدني لها الأبعاد منتشياً
من خمرة الوجد ، ضميان المشاوير

مد الرجاء بجبل عند شاطئه
عبر الندى ، من شعاع النجم مضفور

دنيا تبوح بسر ليس تعرفه
في موسم العطر أفواه القوارير

أحلى الوعود رؤى مشبوبة طرفت
من غفوة الغيب أجفان المقادير

* * *

يالمحة في جبين الطيف بارقة
نديت باليمن مهجوري ومعموري

أنداء فجرك رشقها ملونة
أنفاس ليل رقيق الذيل مخمور

طاف الشعاع بها مشغوفة فذكت
في مترع بضياء الشمس مغمور

وانهال تبر سخي راح يسكبه
من جانب الأفق نبع غير منظور

عنقود كرمن يسبي في سلافته
لب الطيور ويغري بالنواطير

أغصانه الخضر بالأطيار هاتفة
طيري عن الكرم عن عنقوده طيري

كيف السبيل إلى فردوسه وعلى
باب الجنان تبدى ألف محذور

* * *

غررت بالشعر أطويه وأنشره
حتى تمثل في شتى التصاوير

أستعطف الحسن ، أستوحي مطالعه
في نغمة الطيب من أرض الجآذير

أغلبه ، أضمه قلبي ، أبث له
أضفي عليه ظلالاً في تعابيري

بالحسن تبقى قوافي الشعر خالدة
يشدو بها الوجد حتى نفخة الصور

مري فرشت لك النعمى موشعة
بالدر سلسل منظومي ومنثوري

آن العقاد على جنح تكيد به
حقد الظلام فهلي بالتباشير

روبت بالشعر بيداء الهوى فزهت
حسناء ترفل في وشي الأزاهير

في كل صفحة روض من بشاشتها
وجه تهلل وضاح الأسارير

الشعر قبسة إلهام منزلة
ناجى الإله بها موسى على الطور

قيم باليتة في أدبنا الحديث

بقلم: عيسى فتوح

بالرغم من الحملة التي شنها العقاد والمازني في كتاب « الديوان » على شوقي واضرابه من شعراء الوصف التصويري والشكلية ، فإننا ـ حتى اليوم ـ مازلنا نقرأ قصائد غزلية لا يعني اصحابها الا بوصف الشكل ، وعقد التشابيه والمقارنات الجوفاء ، امانفوسهم فتبقى ازاء المشهد العاطفي صلبة ، تهتم بالوضع المسطح ، دون ان تتعمق في الاغوار النفسية ،وتغوص الى كهوف الذات ، وتعبر عن الخلجات والانطباعات والتأثرات ... كل ما يستوقف الشاعرمن محبوبته مثلا مظهرها الخارجي ، فهي شمس اذا لاحت ، وجهها كالصبح ، وثغرها كالجمان ، وهي الى ذلك بدر ونور يغمر الليل بالكهرباء ... اما وجنتاها فورد احمر في روض بديع !

من السهل جدا على الكاتب او الشاعر ان يعقدمن المقارنات الشكلية ، ويرصف من التشابيه الظاهرة بقدر ما يعي من اشياء متماثلة ، او يفوق احدها الآخرفي كبره ، او سعته او لونه ، او شكله ، حسب نوع التشبيه ، حتى المثقف العادي يستطيع ان يقول عن شعر حبيبته انه اسود كالفحم ، او الليل ، وعن قوامها أنه كالخيزران ، ثم ان اسنانها برد ، واصابعهاعنم ، وجيدها كجيد الغزال او الزرافة ، وعينيها كعيني البقرة الوحشية ! . ومع انه قد مضت على هذه التشابيه قرون واجيال ، فاننا مانزال نستعملها في اوصافنا ... نعيدها ونكررها حتى سئمتها اذواقنا ،وملتها نفوسنا .. أليست هذه التشابيه هي نفس تشابيه امرىء القيس وعنترة ، وطرفه والنابغة مع شيء من التحوير والزيادة ! لا جدة .. لا ابتكار .. لا طرافة .. كأن القواعد التي صبها هؤلاء الشعراء تأبى التكسر .. وكأن الادب العربي عاجز عن خلق سواها .. وألا فما معنى ان يقول شاعر مصري معاصر كعامر بحيري في محبوبته : [1]

ستسكرني الآن من خمرها … سيسعد روحي شذا عطرها

ستسمعني من حديث الجمال … أفانين ... ترفع من قدرها

وما قلت كالصبح هذا الجبين … ولا قلت كالليل عن شعرها

ولا قلت قد شغلت خاطري … بسحر الاحاديث ... عن سحرها

مسكين ... لقد سكر من خمرها ، وسعد بشذا عطرها ، وسمع من احاديث الجمال فنونا مما جعل قدرها يرتفع في نظره . وينتقل فجأة ودون مقدمات الى جبينها الذي يشع كالصبح فيسير بهديه ، ولا

(١) مجلة «الشعر» العدد السابع (يوليو) ١٩٦٤ ص ٢٠

يعود يحتاج الى الانوار الطبيعية ، او الى نورالكهرباء في الليل ... فأية مبالغة ممجوجة تلك المبالغة ؟! ومهما يكن من اشراق الجبين ، فهل صحيح انه يقوم مقام ضوء النهار ؟ وهل صحيح ما يقال من ان اعذب الشعر اكذبه ؟ أما عيروا المتنبي باسرافه في المبالغة والتهويل اذ قال عن ممدوحه :

لو كان لج البحر مثل يمينه	ما انشق حتى جاز فيه موسى
أو كان صادف رأس عازر سيفه	في يوم معركة لأعيا عيسى

ان المستحيل نوع من الكذب الادبي ، لم يعدرائجا في ايامنا ، لان اساليب المدح الزائفة هي التي ملأت ادبنا العربي بألوان من المفارقات البعيدة عن التصديق او المعقول ... وقادت الشاعر الى الاغراب والاضراب واقتناص الصور غير المألوفة التي تبعد عن اليقين بعد السماء من الارض .

عامر بحيري هنا لا يمدح السراة لقاء صلة مادية وانما يمدح النساء ... يمدح حبيبته لترنو اليه ، وتعطف وترق ، افيظهر امامها بمظهر المستعلي ؟ لا يريد ان يكون كالمتنبي يطالب حبيبته بالوصال اولا ليعود هو فيصلها :

زوّدينا من حسن وجهك ما دا	م فجمال الوجوه حال تحول
وصلينا نصلك في هذه الدنيا	فان المقام فيها قليل

بل يريد ان يلثم في شغف راحتيها ، ويقطف الوردمن وجنتيها :

فيامن من وقفت حياتي عليك	وطالعني النور من مقلتيك
سألقاك كل صباح جديد	لألثم ... في شغف راحتيك
سأنزل دوما الى روضتي	لكي أقطف الورد ... من وجنتيك
سأسمع منك حديث الهوى	وأهديه شعرا جميلا .. اليك

بهذه الطريقة « التوسيلة » أو الاستعطافية استطاع عامر بحيري ان يدني محبوبته القاصية ويسترضيها ، وقد كانت متأبية جامحة ، فها هي الآن في جانبه ، تتألق بحسنها كحورية من بنات السماء يغسلها شعاع يبرق كالشمس وتطوف بصومعة راهب عابد متبتل :

وها هي ذي الآن ... في جانبي	تألق في حسنها الخالب
كحورية من بنات السماء	تطوف بصومعة الراهب
وتضفي على كل ما حولها	شعاعا من الألق الساكب
اذا الشمس لاحت .. فلا تسألن	عن الفجر في ومضه الكاذب

استغرب كيف لم يعشُ بصر شاعرنا من هذه الشمس القريبة ، وكيف لم تحرقه ما دامت منه قاب قوسين أو أدنى ؟ يظهر ان شمس الشاعر كاذبة ، هي كنار ابراهيم برد وسلام !

وها هي ذي الآن ... كلام ليس فيه من الشاعرية شيء ... هو نثر ، ولعله نثر باهت مغسول ، خال من اللمح والاشراق .

ثم يصف حسنها دون أن يصلت بكلمة على أثرهذا الحسن في نفسه .. كل ما فعل انه راح يتعجب من صاحبة وجهها ، وعذوبة ثغرها الذي يشبه الجمان :

وسرحت طرفي في حسنها ... الا ما احب وما املحا

الا ما اجمل الجمال البهي ... وما أصبح الوجه ... ما أصبحا

وما أعذب الثغر ثغر الجمان ... اذا اكتتم الحب أو صرّحا

ليس في قصيدة عامر بحيري « حب الحياة » الاركام من الفاظ كالنور ، والاشراق ، والكهرباء ، والمصابيح ، والألق ، والشعاع ، والبهاء ، والضياء ، والشمس ، والقمر ، الفاظ توحي بالجو السعيد الذي احتواه ومحبوبته . لكنه عجز عن تفسير الحالة النفسية والشعور القلبي بالمرح والحبور ... وبكلام آخر ، انه لم يستطع ان ينقل لنا التجربة نقلا أمينا ،اما لانه لم ينفعل بها الى أقصاها ، فبقي أثرها فيه سطحيا ، أو ان التجربة كانت وهمية مصطنعة لم تصدر عن احساس بالعمق والنبض ، فانصرف الى الألفاظ يلهينا ببريقها ولألائها عن التفكير بصدق التجربة ومدى حقيقتها وغناها :

وقالت وقلت ... وهل المساء ... وأشرق منها على الضياء

فلا تقل البدر .. في بعده ... يلوح وحيا ... بقلب السماء

ولا تقل النور ... في قربه ... مضى يغمر الليل بالكهرباء

ولكنه سحر هذى الجفون ... ونور العيون ، ذوات الصفاء

فأي نور هذا الذي يغمر الليل بالكهرباء ، وقبله كانت بدرا وشمسا ؟

أخشى أن يجعل محبوبته في النهاية « دينامو » لتوليد الطاقة الكهربائية ، أو مجموعة عن الاجرام السماوية المتنقلة ؟!

لقد باخت هذه الاوصاف وضاعت رهجتها من كثرة ما استعملت . فهل جمد الذهن البشري عندها لايتحرك ؟

كان البدوي في صحرائه القاحلة لايرى غيرالشمس والاقمار والكواكب ، فعذره مقبول ان استعارها ليشبه بها محبوبته ، أما اليوم فما عذرنا ؟

لعل الشاعر اعتبر تشبيهه ضياء محبوبته بالكهرباء قفزة رائعة في دنيا البلاغة ، خاصة والكهرباء من مستحدثات الصناعة والعلم ، فهو اذاً يستعمل معطيات العصر ، ولكن حتى هذه المعطيات ليست شعرية أبدا ، فهلا قدم لنا صورا اخرى للوصف ليس فيها ترسم لخطى الاقدمين ؟

* * *



لئلا يستعمل أحد خياله الخصب : كتبت هذه القصة قبل أن يصبح صاحبها طالبا جامعيا .

((هاء))

سألتني :

ــ ماذا تدرس ...؟

قلت :

ــ طب ..

ــ وزميلك ...؟؟

ــ حقــوق ..

مطت شفتيها .. فقلت :

ــ ألم يعجبك الأمر ...؟!

ــ بلى ، أعجبني جداً ..

ــ حسناً ..

مالت برأسها نحو الجهة الثانية ، فأمسكت مرآة كانت أمامنا ، نظرت بها الى وجهها الطفــل .. ثم التفتت إلي :

ــ ونينه ... ماذا تعمل لكم ...؟

فكرت قليلا ، وأدرت وجهي ، ثم قلت من طرف فمـي :

ــ تغسل ، تمسح .. تجلي أحيانا و .. أشياء أخرى .

ابتسمت :

ــ ما هي الاشياء الاخرى ...؟!

ابتسمت أنا أيضا :

ــ تحضرك مثلا ..

ــ وحدي ...؟؟

ورفعت حاجبها ، وتفرست بعينيها في وجهي ، وترقبت جوابي وعلى طارف شفتيها تقف ابتسامة..

قلت :

ــ وحدك ..

ــ انك تكذب ..

لم أرد ، واكتفيت بالاقتراب منها حتى لامست بصدري طارف كتفيها من الخلف ، ودسست كفـي حول رقبتها ، ثم أحدرتهما قليلا فاستقرا على أسفل العنق ورحت أفرك رويدا رويدا في ابهامي .. وهي تحدق في مرآة كبيرة الى جانبنا بوجهي ، وأنا أراقب الابهامين وهما يعبثان باللحـم الطري الأسمر .. قالت :

ــ يبدو أنك أحببتني ..

قلت :

ــ كثيراً ..

ردَّت :

ــ عال جداً .. فقد زدتم واحداً ..

انحنيت اليها ، فلامست بشفتي عنقها ، ثم هبطت قليلا الى الكتف ، وصعدت الى الخد .. حاجبها.. فالشفتين ، واستقريت هناك ..

قلت لها ، وقد استلقيت على السرير وتركتهـا تضطجع الى جانبي ، وقد ألقت رأسها على زندي :

ــ كم عمرك ...؟

ــ ست عشرة .

ـ عمر خصب ..!!

ـ أجـل ..

ـ وكم أخ لك ..؟

ـ ستة ..

ثم أردفت بدون أن أسألها :

ـ وأنا أكبرهم ..

قلت :

ـ اني أعرف ذلك ..

سألت :

ـ من أين ..؟

ـ مجرد تخمين ..

وصمتنا قليلا .. فتابعت :

ـ وأبي ميت ..

قلت :

ـ عرفنا عذرك ..

ـ تظنني أكذب ..؟!

ـ أبداً ..

ـ بل تظن ..

ـ أقسم لك ..

صمتت وكأنها اقتنعت .. فقلت ، بعـد فترة صمت :

ـ أين وجدتك نينه ..؟

ـ في مكان ما ..

ـ هل كانت تعرفك من السابق ..؟

ـ أجـل ..

ـ وهل كانت هي التي دلتك على هذا الطريق..؟

ـ ربمـا ..

ثم انتفضت من استلقائها وانتصبت تحدق في وجهي ، وقد اتكأت بزندها الى طارف السرير ..

ـ لماذا كل هذه الأسئلة ..؟

صدر حديثاً :

عن دار الاندلس

مرفأ الذكريات

★ ★ ★

شعر

هلال ناجي

ـ مجرد فضول ..

ـ بل تريد أن تعرف كل شيء عن نينه

ـ أبدا ، فأنا لا أهتم بذلك ..

ـ اذن ، ما ذا يهمك منها ..؟

ـ أنتِ ..

صمتت قليلا :

ـ وهي ..؟

ـ لاتهمني بشيء ..

عادت الى صمتها ، ثم أردفت :

ـ هل أنت صادق ..؟

ـ أجل ..

ـ تُقسم ..؟؟

ـ أُقسم ..

وأسبلتُ لها جفني بشكل هاديء مقنع ، فبدا عليها وقد وثقت ..

ـ اسمع .. أنا مستعدة لأن أحضر متى تشاؤون، بشرط ألا يقرب أحدكم نينه ..

نظرت اليها بذعر ..

ـ هل تظنين أننا متوحشون ..؟

ـ كلا .. كل ما هنالك أن نينه مسنّة ، ويجب أن تستر آخرتها ..

ـ هذا مفهوم .. لكن هل تعتقدين أن أيّاً منا يمكن أن يقرب نينه ..؟

قالت ، وهي لاتزال تنظر بعنف :

ـ وماذا يمنعكم ..؟!!

قلت :

ـ سنهـا ..

قالت ، وهي تضرب يدها بالهواء :

ـ انكم لاتوفرون حتى جدتها ..

ضحكت ، ثم ملت عليها ، ولففت ساعدي حول خصرها ، فمالت نحوي بهدوء ..

بعد أن صفّفت شعرها جيـداً أمام المـرآه ، وألقت النظرة الاخـيرة على ثيابهـا ، التفتت اليّ تسألني :

ـ هل أحضر غداً ..؟

قلت :

ـ أجـل ..

قالت :

ـ لكن .. حسب ما اتفقنا ..

استغربت ، ورفعت حاجبي :

ـ وعلى ماذا اتفقنا ..؟!

قهقهتْ :

ـ إنك سريع النسيان ..

قلت لها :

ـ انني أوافقك على ذلك .. لكـن على ماذا اتفقنـا ..؟

ـ أن لايقرب أحدكم نينه ..

ـ قلت لكِ ، لم يقربها أي منّا قبل الآن ..

صمتتْ ، وتراجعت خطوة الى الوراء :

ـ لقد رأيتك تقبلها قبل أن أدخل ..

فوجئت ، ولم أتفوه بحرف ، ثم ابتسمت لهـا بهدوء ::

ـ ولماذا تهمك نينه الى هذا الحد ..؟!

لم تجب ، وحاولت أن تفتـح الباب لتسـرع بالخروج ، فقبضت على زندها :

ـ لماذا تهمك ..؟!

ترغرغت عيناها بالدموع :

ـ انها أمي .. أمي ..

ورفعت كفيها تغطي بهما وجهها ..

هاني الحاج

تطلب مجلة الثقافة

وجميع المنشورات العربية

من مكتبة

موسى البكر

★ ★ ★

كويت ـ السالمية

الحسد

تنويع

* شعر: شوقي بغدادي

سأعترف الآنَ أني حسودُ
حسدتُ السنين التي لا تعودُ
زمانَ أنا لم أكن في خيالِكْ
ولا صورةٌ لي تمرُّ ببالِكْ
حسدتُ الذي مرَّ أوّلَ مرّة
وكانت لعينيه أوّلُ نظرة
تصوّرتُ وجهَكِ كيف استحالْ
على كلِّ خدٍّ تألّقُ جمره
حسدتُ رفيقك في الصفِّ حين
طلبتِ إليه كتاباً فلبّى
يمدُّ يديه ، وعينيه ، حتى
كأنَّ الكتابَ تصوّرَ قلبا
حسدتُ الذي قاد أوّلَ خطوكِ
في حلبةِ الراقصين ، ولمّا
تعثّرتِ ، كيف ضحكتِ ، وملتِ
عليه ، فمال الخبيثُ ، وهمّا
تخيلتُ رحلَهْ

وطفلاً يطاردُ طفله
تصوّرتُ أوّلَ قُبلة
وأوّل سطرٍ حميمٍ كتبتِ
إليهِ .. لمنْ ؟
آهِ مما كتمتِ !.
تصوّرتُ ربّةَ كنتُ مررتُ
جواركِ يوماً فلم تحفلي بي
ولم أنتبِهْ ، وابتعدنا كأيٍّ
من الناس مرَّ ، كأيِّ غريبِ
تصوّرتُ فُسحةَ هذا البياضْ
وأنّ حياتيَ من دونِ ماضْ
فكيف أعزّيْ بأنّي المفُضَّلْ
وأنّ هوانا أرقّ وأجملْ
إذنْ فَسّري لي معنى الشرودْ
بعينيكِ حين تُعاد العهودْ
إلى أيّ ذكرى تعودين وحدكْ
دوني ومَنْ مِنْ خصومي يعودْ .

نشيد الشتاء الأخير ..

فنون

* نبيه الشعار

دروب الشمس أعمتها الخطى الحيرى ،

تعشش في منائرها

أفاعٍ لا عيون لها

تمزّق مفرق الرؤيا .. !

ونحنُ

تُجرّح الأعشابُ ما نبغي .. !

ينامُ الداء

يزحفُ ، فوقَ أيدينا ،

يمدُّ جذوره فينا ،

يشدُّ حبالَهُ - كالنمل -

في اغوار ماضينا ..

وماضينا ،

تحجَّرَ في مآقينا

دماً مراً ،

وخبزاً ما أكلناهُ ،

عجناهُ

وفوق كواهلٍ تعبى .. نقلناهُ ...

لينأى

حيث لا قدمٌ تشقق دونما صيحة !

ولا طفلٌ يخدّدُ وجهَهُ المطرُ !

مضى عنا

وأبقانا

تلون شفاهنا الكسلى

حديثاً ماله معنى ..

وتُبكينا

مناديلٌ ملوّنةٌ تحثّ الخطوَ نحو القرية الكبرى

لتغسل في مداخنها

جراح ظهورها السمرا .. !

تردّ البابَ في وجه الأب التتريّ ،

تنسى انها عاشت

تمَسّدها سياطٌ كسّرت - من قبل -

في اعماقها اللهفهْ !!

ورشّت في مفاصلها

وفي أهدابها

الرجفةْ !!

*

ولكن الدخان السمّ يعميها ..

فترجع

تسأل المحراث في خوفٍ ،

إلى مَ تظلّ يا تموز مبتعداً

بلا كفّ

تُرش الخصب في أحزان وادينا .؟!

اسطورة ... ثانية

قصة

الدكتورة انعام مسالمة

الصباح الرمادي يسرق الخطى ، ليكتسح العالم بجيوش الضياء الجرارة اللجبة ، والتي بدت مقبلة من بعيد كشلال حجبته اشجار كثة في غابة عذراء .

خرجت من باب الفندق ، ولكن الى اين تتجه في هذه الساعة المبكرة . كل ماتعيه انها لا تستطيع الاستمرار .

الطريق الخالي من المارة ، يفتح لها ذراعيه وصدره ، يدعوها ليقبلها قبلة الصباح ، من المفروض ان زوجها هو اول من يقبلها قبلة الصباح ...

لولا احزانها العميقة الآن لكانت وحيدة .

هذا الصباح غريب لم تعرف قسماته من قبل ، انه موجود ، كما انه غير موجود ، في نفس الوقت تحس به ولا تحس به ... تراه ولا تلمسه ، تعيشه ولا تتحسسه ... انه سيقضي عليها ، ليس من حياتها ربما هو قصة تقرؤها ، لعلة اسطورة مهترئة تناهت الى اسماعها عبر زمن انقرض ... انها تصدق ولا تصدق ...

الطريق النهم يفتح شد فيه، يدعوها الى احضانه.. الكآبة تحتل اعماقها ، الالم يمزق جنباتها . ستسمع نداء الطريق ، وستستجيب له ، وستسير .. ولن يهمها الى اين تسير .. المهم ان تفر من هذا الكابوس الذي تعيشه .

سارت ، وسارت .. لم تجد حتى ظلها ليرافقها في هذا المسير .. وفجأة تطلعت امامها ، وجدت الرفيق .. كان رفيقها يتلوى بحزن ، داكن اللون ، ستسير جانبه دون ان يدعوها .. انه رفيق الضائعين والتائهين .. صديق المشردين وانيس المحزونين بين ذراعيه ستجد كل ما فقدته في هذا الصباح الرمادي الكئيب .

ستفر من سحاب همها الداكنة ، وستعود الى نهر حلاوته مستمدة من حلاوة ماضيها .. ستجد نضارة وجنتيها التي اضاعتها ايامها المثقلة .. وسيعود اليها بريق عينيها الواسعتين بعد ان سلبها اياه الأسى والتيه ...

عيناها كانتا بركانا اسود يتوقد دائما .. اصبحت عيناها بقايا بركان خامد ، احجاره السود ملقاة على جانب صحراء ضائعة .. صحراء معلقة في هذا الكون العجيب ...

ماتت هي في هذه الصحراء .. اصبحت جثة ، بلا انسياق حقيقية.. جثة تحمل معها تكشيرة الاموات جثة ذهب توثبها اندثر طموحها ...

حقيقة الجثة ، بلا صديق ، بلا رفيق ، بلا ساعد يسندها .. الشارع الخالي فقط يفتح ابدا ذراعيه في هذا الصباع الاغبر .. انه يناديها ينظر اليها بشبق

وجدت نفسها اخيرا على باب منزل صديقتها ...

قرعت الباب بعفوية والتفتت الى سكة الترام تودعها ، وتطلب منها ان تنظرها حتى تفرغ من وداع صديقتها ..

تود ان تودع العالم في هذه الصديقة.. صديقتها لا تعرف شيئا عن قرفها من هذا العالم .. لن تفول

لها شيئا ..

ستكتفي بالنظر الى عينيها الرماديتين طويلا ، ستودع الصفاء والطيبة المتمثلتين في هاتين العينين ، وستعود الى احضان من ينتظرها في هذه المدينة الكبيرة .

كانت سعيدة في قريتها ، سعيدة في جهلها ان العالم فارغ الى هذه الدرجة ، وقاس الى هذه الدرجة .. وهو حسن لدرجة ان الاشقياء لا يجدون صدرا يفرقون فيه احزانهم ..

العالم مقفر ، لا صدر ينبع الحنان من اعطافه ، لا صدر ابدا كصدر امها يجعلها تحب الحياة بعد الآن .. يا خجلها من صدر امها ، ياخجلها من شلال المحبة الذي نبذته ..

يا خجلها من نفسها ، وامام نفسها من هذا الجهل الذي كان يحاصرها ..

معرفتها الآن واسعة ، واسعة ومتشعبة .. لقد اعطت الحياة كثيرا .. واعطتها الحياة مقابل عطائها المعرفة ، وسرقت منها اشياء كثيرة .. حتى انها سرقت منها ذاتها ، اضاعتها في مناها اللاجدوى وحرقتها في آتون التجارب الكبرى ..

كل ماكانت تنفر منه وتشمئز من مجرد السماع به ، اصبح في دنيا الناس التي عرفتها هي منذ قليل ، اصبح معروفا لديها كحقيقة ثابتة ..

بماذا تصف العالم .. احمق ، مجنون ، نافه ، مخادع . سخيف .. كل ذلك قليل في بحر العالم الكبير ..

المحبة المودة الاخلاص الصفاء ، اساطير في مدينة العدم هذه ..

مدينتها هي ، صدر امها ، صفاء عيني صديقتها .. كل ذلك وضعته في صندوق قذفت به الى العدم لتركض خلف سراب ..

فتحت صديقتها الباب ، دارت نظرة الاستفهام الكبرى في عينيها الرماديتين ، البريئتين الصافيتين .. وانفرجت ابتسامة دهشة صغيرة ..

رنت العينان الرماديتان الى البركان الخامد .. لم تر فيه سوى آثار حريق ، آثار انفجار .. رأت الرماد والاحجار .. الرماد والحجارة لايمكن ان تحكي .. انها اشياء جامدة ، ميتة .. الم يتركها تبيت ليلتها وحيدة في فندق غريب بابه واسع مشرع في مدينة رهيبة كهذه ...

الم يتركها وكأنها لا تعني لديه شيئا .. الم يتعثر بها في طريقه عندما حاولت منعه من الذهاب ، رغم ذلك قذفها ، حجر اعترضه في طريقه .. بقايا طريق.. مخلفات انفجار بركان .. ياالخجلتها من نفسها اتقول هذا لصديقتها ؟ ..

لا .. لن تقول شيئا ...

ستحدق في العينين الرماديتين عساها ترى فيهما النظرة الصافية القديمة ، علها تفرق اقذار العالم التي تراكمت على فوهة البركان حتى اخمدته ...

تتمنى لو تنساب بعد ذلك كجدول رقراق في حلم هادىء .. لتختفي بين اعشاب الغابة الكبيرة لم تكن جدولا ابدا ، كانت نهرا بل شلالا متدفقا . اصبحت الآن لا شيء .. لا شيء ابدا ..

ربما حكت عيناها الخامدتين للعينين الرماديتين ما خلفته الليلة القاسية خلف اسوارهما ...

لا تريد ان يعتصر الاسى والهم قلب صديقتها بعد ان جاءت تودعها .

انها لاتريد ان تنسى ايضا انها خلفت في الشارع خلفها يدين مفتوحتين تنتظراها ، لتحضنها بين ذراعيها ..

قالت لها صديقتها ،

ــ ماذا ••؟

ــ لا شيء •••

ــ انني اسألك عن تلك الاشياء الكبيرة •••

ــ لقد ماتت

ــ هكذا وبسرعة ، لا يمكن ! ••

ــ كانت دردرة بلا جـذور •• ماتت •• ماتت تحت الشمس •••

ــ لا بأس •••

ــ لا بأس •• لقد خسرت العالم •••

ــ حسنا ••• اربحي نفسك

ــ ما بالك متفائلة •••

ــ يا عزيزتي ، لا تلوثي العالم ، اقصد عالمك ، بأقذار الآخرين

ــ ولكن عالمي اصبح ملوثا •••

ــ اغسليه من جديد •• اعيديه نقيا •••

ــ لا استطيع •

ــ وكيف استطاع الآخرين تلويثه اذن ؟ هل هم اقوياء وأنت ضعيفة ؟

ــ انت لا تعرفين •• لقـد جئت اودعـك •• احضانه تنتظرني •• ذراعيه سكة الترام مفتوحتان لي •• سأذهب وحدي •••

ــ ولكن الطريق ليس لك •••

ــ لمن اذن ؟

ــ للمخدوعين •••

ــ وهل انا لست منهم ••؟

ــ ابدا ، انك لست منهم ، ولم تكوني فيعدادهم قط •

ــ انك تبدين لعيني قوية •• انني اجلك •

ــ لست اقوى منك ، ولا اطيب منك ، ولا نفسي اشد صفاء من نفسك ••

ــ انني محطمة ، بقايا •••

ــ انت الصلدة ابدا ، وهم البقايا ، ان جذورك عميقة •

ــ انني لا املك شيئا من أمر مستقبلي ، وماضي قد ضاع ، وحاضري قد تحطم •••

ــ لكنك تملكين العزيمة •

ــ ارجوك دعيني لاحزاني ، لقد شغلتنيمناقشتك عنها •• وداعا •••

تأملت العينين الرماديتين للمرة الاخيرة •• عيناها تدعواني الى الكفاح ، الى الاستقرار من اجلالمستقبل وعلى وجهها معان كثيرة •

ــ انني لا اكذب على نفسي ••

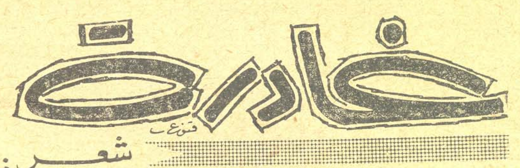
ــ لماذا تقولين ذلك ، انك فقط ثائرة ، تركك وحيدة في الفندق • وانت تودين ان تتركي العـالم كله •• من منكما الاقسى •• لقد قسى هو عليك ، اما انت فتقسين على العالم أجمع •••

ــ عدت الى اسطورتنا الماضية « نعيش من اجل الآخرين ، ولنصنع غدا مشرقا •• »

ــ ولكن هذا! فعلا ما كنت تعيشين له•• تستطعين ان تبدئي مرة اخرى • قليلا قليلا الى نحت صورة الطريق وهو يفتح ذراعيه وتلاشت صورة قضبـان سكة الترام التي تنتظرها •••

مضت مع صديقتها الى طريق يعبانه من اجـل الآخرين •• كـانت تبتسم بحرارة وهي تسخر من ضعفها في ذلك الصباح الرمادي الكئيب •

انعام المسالمه



شعر :

* عبدالرحيم الحصيني

يومَ أطلَلْتِ ، وانتظاريَ أعشبْ ... أهـلَ الشعرُ بالربيعِ ، ورحّبْ

أهّـلَ الشعرُ بالدلالِ ، بجفنٍ ... مُتْعَبِ الهُدْبِ ، بالتفـاتةِ ربْربْ

أهّلَ الشعرُ بالفراشـةِ عطشى ... تجتني لمعةَ الشفـاهِ ، وتَنْهبْ

أهّلَ الشعرُ بالصباحِ ، بوجـهٍ ... لوّنَ الوردُ وجنتيـه ، وخضّبْ

وانحنى الشعرُ للغدير نبيـاً ... يسكبُ الشمسَ للنهودِ لتشربْ

أهل الشعر باحتضـارِ المعـاني ... وارتماء البيان سبكاً ، ومذهبْ

قـد يحارُ القصيدُ بالحسنِ حتى ... يذهل الحسَّ ، ماعناهُ ، ويتعب

* * *

يوم أطللت ، ماحسبتك حُلـماً ... كخيال الشريد ، يرضى ويَغضبْ

أيُّ وهم بجـانحيكِ تلوّى ... كنتِ أشهى من الرحيقِ وأطيبْ

أنا ، لو تَسـأل الخمائلُ عني ... فالى الزهرِ والمواسمِ أُنسب

بلبلٌ أسكرَ الضفافَ غنـاء ... يرقص الورد من صداه ويطربْ

لاشراع سوى شراعـيَ أبلى ... همّةَ الموج ، واستفاضَ وأسهبْ

أنتِ لا الدهرُ ما أذوب عنـاءً ... من تجنّيهِ ، والأمانـةُ تعجبْ

مادت الكأسُ في يديَّ ولكن ... أيّ شعر يميد عنـدي ، ويغلب

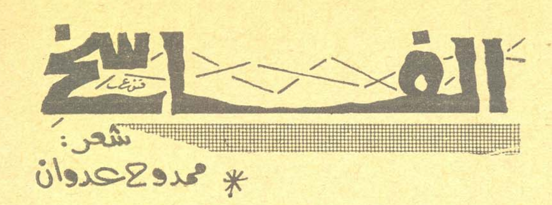
خدعة أنت . لا أقول سـرابٌ ... تيّم اللحظَ مشتهـاه ، ورطّبْ

كان ذاك النهـار خمراً وشعراً ... هوّم الليـل ، فالبوارقُ خُلّبْ

صفحة تخجل الوفاء بعهـدٍ ... كان ـ لا كنتِ ـ كالطفولةِ أزغبْ

هكذا الحب والزمانُ فقلبٌ ... مستريحٌ ، وألف قلبٍ مُعذّبْ

(قد يكون اسمه اليوم اللا منتمي أو المتمرد أو المتخطي أو الثائر ... ولكنهم لم يجدوا له أيام ((سفربرلك)) إلا هذا الاسم ((الفاسخ)) .)



شعر: ممدوح عدوان *

— ١ —

ككلاب سجان تلوب الريح في كل الدروب
تنهر من أشداقها الامطار شهوه .
اليوم، بعدمجاعة الاجيال، بعد فرارها المسعور عنوة،
تشتم رائحة الفريسة في السهوب .
ألقهقهات تفردت جذلى على شبق ونزوه .
وعلى دروب العتم تبدي جبهة الاوحال خطوه
وعلى ضلوع الصخر خطوه
راحت تجرجر قيدها القدم
ولسان ريح تلحس الأشداق من قطرات دم

— ٢ —

قطع القيود وهام ، آلاف اللعنات تهدر خلفه ،
تزكي انتقامه
أتراه من تلك القبيلة فارس هدم الغزاة بليلة سودا خيامه ؟!
شهق المدى !!
طفل تؤرجحه المخاوف، مجهدا يحبو على جسر القيامة .
الحور يجهش تحت صفعات الرياح ويستجير ،
والنهر في الوادي يدمدم مثل سكير ضرير .
تلقى به الأمطار آلاف العيون الحمر، تفقؤها أمامه .
طفل مضى ...
مازال طعم القيد في عينيه، فوق قذاله ندبات نير .
ماراودت جنبيه ، مذولى ، فراشات النوامة
مازال مرتعدا .. وأحلام تهدهده الى أرض السلامة .
((ياليت لي جنحا أطير))
وعلى الصوى ، كاللعنة العمياء ، تصفعه علامه :
((هذي الطريق تسد بالحقد الضرير ولا ترد))
ككلاب سجان تلوب الريح في كل الدروب
فهوت تئن بريش جنحيها يمامه .

— ٣ —

((ها .. ها .. أتيت !))
كزعيق أشباح بوجه الليل من صمت المقابر ،
كالمدى في وجهه انغرز الصدى .
((.. يا قالع الاحلام من أحداقهم
ياسارقا يخفي عن القديس قطرات الندى
لم تدر بعد بأي درب قد مشيت
لم تدر بعد بأن غربانا تحوم على قبور الاولياء
جاءت تنوش التوتم الغافي على صدر المدى
في كل بيت
ها .. ها .. أتيت !))
.. وتلمظت جنبات وادي الموت من طعم الصدى ..
ـ ((أدري .. ولكني بذرت الحلم من أزل بصدر الاقرباء،
فغفا عليه الرمل أجيالا ولم يرشح عطاء
ونجومهم صماء ، كم حذرتها سوط الغضب .
مذ لقحت بصدورهم عرافة ذاك البذار نما قصب
مازال نسل الموسم المأمول يلقى للعراء .
إبليس يلحسه ، عطاء لم نذقه ، ولم يغن الطفل يوما للعروس
وعلى خطى الاقمار ألف تميمة حبلى تنوس
زوادتي طويت على حلم ، بذار غدي ،
سأنثره على دنيا لهب
بفمي أزق حمامة موؤودة من بعض ماأعطى التعب
لا تبتسم !
ستقول : (نقل الزاد من شفتي يقتل أمها ،
رعبا ، وأمي إن صب في فمها أوامه)
حسنا .. أهذي فديتي ؟!
خذ والدي وأخي وأمي !
قبل انفلاتي من معاقلهم نفثت بوجههم إعصار سمي .))

— ٤ —

الجسر يهوي خلف خطوته، ودرب الزهر مبتسم أمامه .
وهناك خلف القبة البيضاء مازلت له تزقو ((حمامه))



المستوى الفني في معارضنا المحلية

* غازي الخالدي

كثر الحديث في هـذه الايام عن المستوى الفني للمعارض ، وعن كيفية تنظيم هذه المعارض ونوعيـة الفنـانين المشتركين ، والنتائج التي تعطيهـا للناس ولتاريخ الفن في سورية .

وموضوع المستويات برأينا لايناقش من حيث مظاهره ونتائجه ، وانما يناقش من خلال التـاريخ الطويل ، لحركة الفنون في هذا البلد ، نبحث فيهـا عن جذور القضية وأسبابها الحقيقية ، وبعـد ذلك يمكننا أن نتحدث في نوعية المستويات وتفاوتها من فن لآخر .

وخيوط المشكلة مرتبطة بنظرنا بعدة نقاط هامة ، أولا ــ المعارض المحلية ، ثانيا ــ المعارض العالمية ، ثالثا ــ نوعية العارضين . أمـا عن النقاد والنقـد والجمهور فقد سبق وتحدثنا عن ذلك في مقال سابق على صفحات هذه المجلة .

١ ــ المعارض المحلية :

ماهي الفكرة الاساسية من اقامـة معرض ما ، وماذا يقابل في الفنون الاخرى .

ان المعرض في الواقع هو أصدق صورة يقدمها الفنان عن نفسه بأبعادها الفلسفية والحضارية والفنية، وبالتالي يستعرض تاريخا دقيقا لتطوره خلال فترة ما من الزمن ، وفي الادب يقابل ذلك نشر وطرح الكتاب بين أيدي القراء ، والفن التشكيلي بالذات مجـال أوسع لكشف النفس الانسانية على حقيقتها بحيث يستطيع رواد المعرض من خلال مقارنة جدية ثاقبـة بين أعمال الفنان في مراحله المختلفة أن يعرفوا نوعية الشخصية التي أوجدت هذه الاعمال ، والفن ليس بحاجة الى الفهم بقدر ماهو بحاجة الى الحس السليم والتذوق الناضج ، وكثيرا ما يخطىء البعض عندما يصرون على تفسير الفن التشكيلي لان عملية الخلق الفني عملية وجدانيـة حسية قبل أن تكون عقليـة رياضية ، وعلى هذا الاساس نستطيع أن نحددالملامح الاساسية لشخصية الفنان الذي أوجـد ذلك العمل الفني .

والمعرض هو عبارة عن كشف حساب لهذا الفنان وتطوره بين فترتين من الزمن ، فترة البـدء وفترة الوصول الى تجربة فنية معينة .

وهناك نوعان من المعارض :

معارض فردية ، ومعارض عامة مشتركة ، أما المعارض الفردية فقط أتينا على ذكرها آنفا ، وهي بلا شك أهم بكثير بالنسبة للفنان ، ولمؤرخي التراجم وسير الفنانين حيث تتم من خلال هذه المعارض عملية رصد دقيق للفنان ولنوعية وكمية أعماله ومدى تأخره أو تطوره ، وبالتالي تضع الفنان أمام مسؤولية المضمون والاسلوب الذي يعبر عنه ، ويمثله تمثيلا كاملا أمام نفسه وأمام الجمهور ، ويتم من خلال المعرض الفردي التعارف الكامل المباشر بين الفنان والجمهور دون هروب أو تزيف .

بينما المعارض العامة قد تخفي أشياء كثيرة عن الجمهور ولا يمكن التعرف بشكل كامل ودقيق على فنان ما من خلال لوحة أو لوحتين يشترك بها مع فنانين آخرين بعرض عام .

ومن ناحية أخرى لاننكر أن المعارض العامة هي بلا شك مكسب حضاري هام للدولة والامة تقدمه للعالم كانتاج فني تكشف فيها عن مدى تطور النهضة الفنية في البلاد ، ولعلها تركز على كمية اللوحات وعدد الفنانين أكثر من تركيزها على نوعية مستوى الاعمال التي تقدمها بالنسبة لمستوى غيرها من الدول لان الدول تقدم دائما كل ما عندها في المهرجانات الدولية من فنون تتناسب مع عمرها الفني ، وتراثها وتاريخها وشخصيتها الخاصة وطابعها الخاص ولا يهمها أن يقال أن فنها أقل مستوى من فن دولة آخرى لان طبيعة بلادها وظروفها تختلف جذريا عن أي دولة اخرى . فمثلا لا يمكن مقارنة الفن الصيني بالفن الفرنسي أو الايطالي أو الهولندي .

والدولة طبعا تفخر بما عندها من فنانين ، ويشرفها أن تقيم لهم المعارض وتقدمهم الى العالم أجمع بغض النظر عن مستواهم بالنسبة لغيرهم الفنانين في الدول الاخرى .

اذن نستطيع أن نقول أن فكرة الاشتراك في المعارض العامة ــ اذا نظرنا اليها من الناحية القومية ــ تعتبر فضيلة ، وهي كما قلنا لا يمكن أن تعطينا صورة دقيقة عن الفنان ولا عن انتاجه الخاص .

ومن هنا تبدو ضحالة الفكرة التي تطالب بمنح جوائز للفنانين في المعارض العامة ، على أساس لوحة أو لوحتين بدلا من نظام الاقتناء الذي يشمل أكثر العارضين في الغالب .

ولعل أسوأ نظرية يمكن أن يلجأ اليها النقاد والمسؤولون عن المعارض هي عملية « المقارنة » لاختيار الافضل في الفن !!

اذ كيف نقارن لوحة « طبيعة صامتة » بلوحة « بورتريه » أو لوحة « تكوين » بلوحة « منظر طبيعي » تماما كمن يقارن بين نوعين من الفاكهة كالتفاح والكمثري ويقول هذا أطيب من ذلك ؟ فكل نوع ميزاته الخاصة التي لا توجد في النوع الآخر ، فكيف تتم المقارنة على هذا الاساس ؟

ان أبسط مبدأ من مبادىء المقارنة العملية هو أن تكون المقارنة بين نوعين من فصيلة واحدة وصفات متشابهة وتختلف فقط بالاسلوب التي تقدم بها ، كأن نقارن مثلا بين لوحتين من الطبيعة الصامتة ، أولوحتين من المناظر الطبيعية على شرط أن يكون الموضوع المعالج في كلا اللوحتين هو نفسه ، وتبقى المقارنة للاسلوب ، للتكنيك الفني ، لا أكثر ولا أقل ، وهو المجال الحقيقي للمقارنة .. فالواقع نحن لا نقارن مجرد ألوان وخطوط ومساحات بألوان وخطوط ومساحات ، نحن نقارن تجربة انسانية واحساس فردي خاص بتجربة انسانية آخرى واحساس فردي آخر لفنان آخر .

٢ ــ المعارض الدولية :

ان أهم ظاهرة في المعارض الدولية انها تقربنا الى العالم الى فننا ، وتجعلنا نعرف تماما في أي درجة نحن من سلم الحضارة والتقدم .

وتكشف لنا بالتالي عن أهم وأحدث ماتوصلت اليه التجارب والخبرات في كافة الميادين الفنيةوالعلمية

والثقافية . هذا بالنسبة لنا ، أما بالنسبة لمو قفنا أمام العالم فيجب أن يكون اشتراكنا ومساهمتنا في المعارض الدولية هو واسطة جديدة لاثبات وجودنا وشخصيتنا الحضارية الخاصة بنا بين فنون وعلوم وثقافات الامم .

وقد لوحظ في عدة معارض دولية احجام واضح من الفنانين السوريين عن الاشتراك في تلك المعارض رغم المكاسب الادبية التي تجنيها الدولة ويجنيها الفنان نفسه من المعرض العالمي :

وأسباب ذلك :

أولا : عدم ثقة الفنان بامكانياته ، واحساسه لانه لم يصل الى المستوى العالمي الذي يؤهله أن يقف أمام مشاهير الفنانين في العالم ،

ثانيا : ان عدد الفنانين السوريين الذين يشتركون عادة في مثل هذه المعارض الدوليه لا يزيد عددهم مهما بلغ عن أصابع اليد أو أقل ، لذلك يكاد الفنان الذي يقرر الاشتراك في معرض عام على مستوى عالمي أن يضيع أمام زحمة الاعمال الفنية العالمية الضخمة ، خاصة وان شخصيتنا الفنية العربية لم تتبلور بعد .

ثالثا : يخشى أكثر الفنانين أن لاتعاد اليهم أعمالهم بعد عرضها في المعارض الخارجية الدولية ، وذلك لعدم تنظيم هذه الامور مع أجهزة المعارض الدولية والاعتماد على الملحق الثقافي أو غيره من موظفي سفاراتنا او قنصلياتنا ... دون ارسال مندوب فني يرافق المعرض لتنظيمه واعداده واعادته .

وينتج عن هذا كله اننا نادرا ما نلتقي بأعمال الفنانين العالميين ، أو نضع لوحاتنا الى جانب لوحاتهم، نفيد من تجاربهم ، وآرائهم ، وخبراتهم .

من هنا تبدو عملية الدوران في حلقة مفرغة ، حيث لا نرى أمامنا الا فننا وانتاجنا ، ولا نتحدث الا في هذا الفن وهذا الانتاج ... واذا رأينا معارض عالمية قد تزورنا من وقت لاخر في المتحف الوطني مثلا .. نقف أمامها كالغرباء .. لا نتكلم ولا نفهم .. ولا نسمع تعليقاً جدياً عليها .

وبالتالي لا يحدث أن تقف لوحاتنا الى جانب لوحاتهم ولا تتم أي مقارنة أو مناقشة بين هذه الفنون المختلفة ...

ونتيجة ذلك اقتصرت احاديث النقد والفن عندنا على انتاج فنانينا فقط .. وهذا بالطبع يؤدي بالحتمية الى الغرور .. ثم الى الضحالة في المستوى الفني والفكري ، والانحدار نحو النرجسية التامة التي تقتل الفن والفنان على حد سواء .

اذن كيف تتم عملية اللقاء هذه مع الفن والحضارة العالمية على مستوى مشرف لفننا وحضارتنا ولانساننا العربي المعاصر ؟ !

لقد طرحنا سابقاً مشروعاً على المجلس الأعلى للاداب والفنون والعلوم الاجتماعية يحقق جزءاً هاماً وحيويا من هذه المشكلة ـ

ويتلخص المشروع بأن يقام في مدينة اللاذقية كل سنتين مرة معرضا دوليا لفناني دول البحر الابيض المتوسط يسمى بينالي اللاذقية على غرار بينالي الاسكندرية أو فينيسيا ، ويقام هذا المعرض بالاتفاق مع لجنة المعارض الدولية للفنون التشكيلية التي لها فرع في الاسكندرية وفرع في فينيسيا تكون سورية بموجبه عضوا عاملا أساسيا ، تقدم في هذا المعرض خيرة انتاجنا ، ونلتقي بالتالي مع خيرة الانتاج الفني العالمي وتكون هذه الخطوة الاولى من نوعها لنقل الفن السوري من نطاق المحلية الضيقة الى المسؤولية العالمية بشكل مباشر .

وبالتالي يكون ذلك لقاء متكافئا مع الفن العالمي، وتجربة هامة للفنانين السوريين بأن يثبتوا وجودهم في هذا المعرض الذي يحمل طابع العالمية .

أضف الى ذلك ما يعطي هذا المعرض الدولي من مكاسب سياحية ودعائية وقومية للبلاد أمام الزحف الاسرائيلي الكبير نحو غزو أوربا وحضارتها العريقة.

ونحن في الواقع نعلق آمالا كبيرة على مثل هذا المشروع الذي سيؤتي نتائجه بشكل أكيد على الفن والفنانين بسورية ، بحيث يصبح الفنان السوري مسؤولا لا بشكل أدق أمام نفسه وأمام وطنه وأمام العالم ؟

وهذا يعني بالطبع ارتفاع حتمي للمستوى الفني والفكري عند الفنان التشكيلي في بلدنا .

٣ ـ نوعية العارضين :

ان من الاسباب الهامة في تدني المستوى الفني في المعارض المحلية هو نوعية العارضين من الفنانين ، وكميتهم التي تزيد احيانا عن الخمسين فنانا ..

وليس معنى هذا ان نلجأ الى الاسلوب القديم ونفرق بين الفنانين المحترفين والفنانين الهواة ، ولكننا سنحاول أن نلقي نظرة أكثر جدية على نوعية الفنانين الذين يشتركون في المعارض العامة التي تقيمها الدولة وأهمهـا :

معرض الربيع في حلب ، والخريف في دمشق

هناك نوع من الفنانين الذين سبق ودرسوا الفن في فترة بعيـدة من الزمن والهتهم الحيـاة اليومية ومسؤوليات العمل ومشاكلـه عن الانتاج المستمر الذي يحمل طابع الرسالة الفنية ، أو الاصرار على ايجاد شخصية فنية خاصة بهم .

ان هذا النوع من الفنانين أما أنهم يردون البقاء على اتصال مع الناس والدولـة حيث يشتركون في معرضين بالسنة ، حتى لا ينساهم الناس ، وأما أنهم يجدون ـ وهذا الاصح ـ في الاشتراك بلوحتين في السنـة في معرضي الخريف والربيع مورداً للرزق ، فيقتنى انتاجهم على اعتبارهم من المحاربين القدماء في ميدان الفن التشكيلي .

ولا شك ان هذا النوع من الفنانين مع احترامنا لدراساتهم القديمة ، وشهاداتهم التي يحملونها ، الا أنهم بلا شك لا همالهم أنفسهم وعدم جدية انتاجهم وتقاعدهم المستمر ، وكون أخذهم الفن هواية وتسلية الى جانب عملهم الاداري الذي يرتزقون منه .

ان كل ذلك يجعل هؤلاء عالة بلا شك على الفن ووجودهم على وضعهم الحالي يؤثر كثيرا على مستوى المعارض الفني .

ونحن نتمنى بصدق لهؤلاء الفنانين « الاساتذة » أن يعودوا الى الانتاج الجيد المستمر ، الذي يربطه من التسلسل والوحدة والاصالة .. أو أن ينسحبوا مكرمين معززين ، خير لهم ولسمعتهم من أن يرسموا لوحتين فقط من أجل الاشتراك في معرض أو معرضين في السنة .

وهناك نوع أخر من الفنانين العارضين : وهو ذلك النوع المتحمس الثائر العجول ، الذي يستبق الزمن في كل شيء ، يريدون أن يأخذ المجد كله مرة واحدة ومن كل أطرافه ، كأنما المجد مرتبط بمعرض أو معرضين ..

ان هذا النوع غالبا من الشباب الذين لم تتح لهم الفرصة بعد ليستكملوا دراساتهم الفنية على الاسس الاكاديمية العلمية أو أنهم في الطريق الى استكمالها ، نراهم يجنحون في لوحاتهم ، وفي آرائهم وفي شخصيتهم وفي تصرفاتهم ، الى التطرف والى المغالاة والى القاء التهم على الجميع ويشتكون من كـل شيء الا من أنفسهم .

وعندما يشتركون في معرض ما يقدمون لوحات لا حصر لها ، وبلا تردد ، كأنما يفرضون ان كلهـا ناجحة وكلها جيدة .

ان تشوقهم الى الشهرة ، وتطلعهم الى المجد ، خصال طيبة لو وجهت توجيهاً ايجابياً فعالاً ، لأنت

أروع النتائج وأفضلها لانفسهم أولا ولاتتاجهم ثانيا وللوطن ثالثا •

ان الفنان الكبير بيكار كان يقول لنا عندما كنا بين يديه طلابا :

أفضل أن ترسموا عشرين لوحة فاشلة على أن ترسموا لوحة واحدة ناجحة لان العشرين تحمل معنى التواضع والاصرار ، والصبر ، والجد ، والعمل المستمر ، والتجربة وتكوين الخبرة ، أما كونك ترسم مرة واحدة لوحة واحدة ناجحة ، فمعنى ذلك أنك توقفت عن التجربة ، وأحسست بالامتلاء ، ووصلت الى الغرور ، وهذا أسوأ مايصل اليه فنان ؟ !

وهناك نوع ثالث من العارضين ، وهو أخطر الانواع على المعارض وعلى الفن وعلى الفنانين على الاطلاق ، هذا النوع هو النموذج الانساني الذي يعيش طوال حياته لا يعرف شيئا عن الفن ولم يقرأ شيئا عنه ، ولم يمارسه اطلاقا الا على سبيل التسلية والتفكه ، واملاء أوقات الفراغ ، لم يدرسه في مدرسة ولم يطلع عليه بشكل جدي ولا يؤمن به كرسالة أو كهدف •

ينظر حوله فيجد أن عملية الرسم سهلة وبسيطة ويفسر أعمال الفنانين تفسيرا سطحيا جدا لا يتعدى فهمه للاسماء فقط •

ويحاول أن يرهف السمع لاحاديث الفنانين مع بعضهم فيسمع كلمة « انبوب زيت » ثم يسمع كلمة « زيت كتان » أو « تربانتين » أو كلمة « توال » وعندما يعجز عن تفسير كلمة (توال) ومن أين يشرى ؟ يفضل أن يرسم على الخشب أو المازونيت بعملية خلط الالوان مع بعضها ثم مزجها بالزيت •

ثم يحاول أن يرسم شيئا ما ، وعندما يعجز يقلب اللوحة رأسا على عقب ويسمي نفسه « فنانا تجريديا حديثا » ! ويطلق الاسماء العريضة الخطيرة على لوحته •

هذا اذا لم يحاول أن ينقل من احدى اللوحات التي تقع تحت يده عن طريق الصدفة • انه يشترك في المعرض لسببين اثنين : الاول انه حريص أن يذكر اسمه بين الفنانين ويصنف معهم حتى يستطيع في مناسبة قادمة أن يناقش الفنانين في أعمالهم على اعتبار أنه واحد منهم • والثاني : انه يتوقع بيع لوحته !

وهؤلاء بلا شك هم المصيبة التي بلي بها الفن وأكثرهم من طبقة الموظفين المحيطين بالفنانين ، وهم من الاسباب الاساسية التي تدني المستوى الفني للمعارض وتجعل الجمهور العادي يحارب الفن والفنانين ظانين أن هذا النموذج من الفنانين أو أشباه الفنانين يمثلون الفن بشكله العام •

بعد كل هذا نصل الى النتيجة التالية :

ان تدني المستوى الفني واختلافه من فن لآخر ومن بلد لآخر متعلق بسوية العارضين ، ونوعيتهم ، وبالتالي في تفسير مفهوم الفن والنظرة اليه ، ومسؤولية ذلك لايمكن حصرها بشخص ما وانما تعود أولا وأخراً على الفنانين ، الفنانين الاصلاء الذين تحملوا مسؤولية الفن واعتبروه رسالة حقيقية تبرر وجودهم في هذه الحياة •

هؤلاء يجب أن يكملوا الخطوة التي بدأها غيرهم منذ عشرات السنين ولم يكتب لها النجاح آنذاك لظروف تختلف عن ظروفنا الحالية : وهي ايجاد تجمع على شكل اتحاد لخريجي كليات الفنون الجميلة ، يجمع شملهم ، ويحميهم ، ويدافع عن قضاياهم ويحدد بالضبط الملامح الحقيقية للفنان الاصيل الفنان الجاد ، وهذا بلا شك من أهم دعائم النهضة الفنية في البلاد ، ومحاولة جادة لرفع سوية الفن الى المستوى اللائق الذي نريده لفننا تجاه أنفسنا وتجاه العالم أجمع •

صديق المعلم

قصة

* محسن غانم

القامشلي في ٢٨/٣/١٩٥٨ — ١ —

تحية اليك على البعد

قرأت رسالتك مرات ومرات وكأنني اطالع قطعة ادبية رائعة ، فأنت تدرس قصيدتي المتواضعة دراسة كاملة ، مما جعلني امتلىء غرورا ومحبة لك ، ان ازهاري وكل قصائدي بلا لون تبشر بالموت وحياتي عاقر تافهة لا تستطيع قط أن تنجب التفاؤل والعطر ، لكني عندما اغني « سعاد » في وحدتي أحاول أن اعطي لحياتي عبقا ولونا وهدفا واجري في عروقها النسغ الحار .

« سعاد » ما اتفه علاقتي بها لقد اصبحت أخجل من التحدث عنها بحرف واحد فأنا مفجوع باحلامي الطفلة ، وارى الهوة السحيقة القائمة بيننا ، ومن أجل ذلك سأبقى عازبا طوال حياتي أغني لها ، مادام في عرق ينبض ، وحتى اخلق منها اسطورة . فما أجمل أن تكون في حياة الواحد منا امرأة تهبه قدرة الخلق وتمنحه مبرر البقاء والكفاح .

تسألني عن « حلمي الذي تحقق » بالعيش في غرفة منفردة في زاوية بعيدة !! ولكن ما أصعب الحياة ، فالفراغ الذي اعيشه هنا أقسى وأمر . والايام تمضي آخذ بعضها برقاب بعض ، وانا أستهلك في بيتي الساعات الطويلة ساهما احدق في لا شيء ، وافكر في لا شيء ، وانا بهذا لا اتصنع دور « الفنان الشاذ » مطلقا .

أحس رغبة ملحة في التحدث اليك كثيرا ولكني لن أقول شيئا جديدا وليست لدي أية مفاجأة ، فقط العيش اليومي اصبحت امله حتى أكاد اثور . أرأيت كيف تتجمع قطرات المطر في السماء الى بعضها في ساعة ما لتشكل سحابة كبيرة تندلق طوفان ؟ اذن تستطيع أن تعرف كيف تتجمع التوافه اليومية المبعثرة على صفحات تاريخ انسان ليستقطبها ذهنه في جلسة هادئة مع سيجارة تحترق بين اصابعه بلا ضجة أو فوضى ، ثم تبدأ تتلاحم في سحابة كبيرة كالسماء .

قرية التل في ١٨/٩/١٩٥٨ — ٢ —

أخي ، ماكنت أريد أن اغادر قبل أن اراك واقول وداعا ، غير ان تبليغنا من مديرية التربية والتعليم للالتحاق باعمالنا كان يلح علي بالسرعة . لقد بتروا لنا العطلة الصيفية بترا ، وعشنا الايام الاولى وكأننا في جهنم ! أ تصور ان درجة الحرارة وصلت ٤٦ في الظل ! ! .

سافرت من القامشلي الى الحسكة فتبلغت من المديرية نقلي الى هذه القرية المشلوحة بلا حدود فوق أرض تحرقها الشمس ، فيها يتطلع المرء الى ساعته سبعين مرة في اليوم الواحد ويمضي اوقاته كلها بعد خشبات سقف الغرفة كأنه في زنزانة . ومن غرفة المعلم العتيدة ، اخط اليك تحيتي وعزائي أن ربما تكون القرى ملائمة لمثلي « ماديا » ولتكن تجربة جديدة .

ان رسائلك تعني سلوانا وشيئا ضخما وسأقرؤها دائما اكثر من مرة ولن تعيقنا مشاغل العيش وبعد

المكان عن تبادل التحية انها ثروة نشعر بقيمتها كلما ابتعدنا .

انني ادخن واشرب الشاي كثيرا واتمنى أن ابذل محاولات في الشعر رغم احساسي بانطفائي وانتهائي كشاعر ، ولا ادري اذا كنت قد قلت لـك مرة عن شعوري بأنني لست سوى قوقعـة فرغت ونشفت رطوبتها وانتهت لتدفن في رمال شاطيء بحر عفن .

منذ مدة كتبت شيئا يشبه الشعر بعنوان (القلق والحرق) ولا شيء آخر هذا العام .

تل كوجك في ١٩٥٩/٣/٢١ — ٣ —

احيك اجمل تحية ، واكتب اليك من بلدة على الحدود السورية العراقية ، أي انني اعيش في حميا الاحداث العراقية الاخيرة ولقد رأيت بعيني الطائرات تصب القنابل والصواريخ فـوق رؤوسنا ، والضابط الذي شيعته دمشق بالامس ، لـه على قمصان جاري اكثر من بقعة دم ، وكنت بقربـه في السيارة التي اقلته الى القامشلي لاجراء العملية له ، وهناك لفظ انفاسه الطاهرة الاخيرة .

تحت رأسي ينام مسدس « تشيكي » وتحت السرير جعبة تحتوي مائة وثمانين طلقة ، وما زلت أذكر يوم كنت قد سخنت الماء لاحلق ، وبدأت ارغي الصابون علـى ذقني وامسكت بموسى الحلاقـة — الساعة الرابعة عصرا — فسمعت فجأة ازيزطائرات ثم هوت القنابل على بعد امتار . انطلقت خارج الغرفة ، فاذا الجو جو حرب حقيقية ، وقبائل شمر تطلق على الطائرات بالبنادق والاطفال يصرخون ، والنساء تبكي ، صدقني لـم اخف بل كنت افكر « بسعاد » نعم سعاد « الفكرة » وحبها الطفل اليتيم الذي استحال في قلبي الى مستنقع آسن يعج بالفراغ واليأس والدود .

وداعا ، والى اللقـاء .

محسن غانم

صدر حديثاً

لاتقولي .. وداعا

مجموعة من الشعر العاطفي

للشاعر رفعت الشيخ



★ شعر: صالح هواري

قل لمن أحنى على الانسان بالمال وساسه
يا أميرا دبّج الفيروز بالوهم لباسه
نسج الكرسي بالخزّ لتهواه الرئاسه
أنت من أنت سوى انسان ذل وتعاسه
انكر الطين له أصلا ، فعاداه وداسه
لست أخشاك انا .. فاشدد على القصر الحراسة
أنا فلاح عريق أنضج الله غراسه
منجلي الصابر في الشمس يغني في حماسه
كل غصن شامخ يسطيع ان يقصف راسه
ان قسا العود عناداً لا تخف فيه (يباسه)
لا تقل عنه عظيم شمت بالوهم قياسه
فاذا ما شئت ان تكشف في النور التباسه
انبش الانسان من اغواره تعرف اساسه
تلد الماسة فحمة ... تلد الفحمة ماسه

★ ★ ★

بعد ان فتحت عينيك وابصرت السماء
لا يغرّنّك طيف في دجى الليل تراءى
ربما كان ظلاما ... ربما كان ضياء
ليست الاشياء في الشمس اذا ضاءت سواء
رب ليل أرمد العينين يهدي الأغبياء
رب فجر دافق النور يضلّ الاتقياء
ان يخادعك سراب شع كذبا وافتراء
فمحال من رمال الوهم ان تشرب ماء
يا أخي اصلك أصلي الطين. فاحفظ لي الاخاء
ليس عيبا يا اخي .. فالعيب أن تنسى الوفاء
انما التبر خليط من تراب الارض جاء
عندما استخلصته زيّنت فيه العظماء
انبش الانسان من أغواره تعرف اساسه
تلد الماسة فحمة .. تلد الفحمة ماسه

★ ★ ★

يا اخي أنت أنا في الارض يطوينا المصير
كلنا في كوخه الارضي انسان حقير
ويحه ذاك الذي أعماه في الشمس الغرور
لي صديق مطبق العينين انسان ضرير
شاعر ثرّ المعاني يغتلي فيه الشعور
جنحه منكسر لكنه راح يطير
سابحاً في زورق في فلك الشمس يدور
عزة الانسان لا يرفعها الا الضمير
لا تقل ذاك صغير .... لا تقل ذاك كبير
كم نرى في الروض اثماراً تغطيها القشور
انه ليس عجيبا أن يلف النور سور
وكما ليس عجيبا ان يلف الليل نور
انبش الانسان من اغواره تعرف اساسه
تلد الماسة فحمه ... تلد الفحمة ماسه

★ ★ ★

قل لمن طاش بعينيه بريق الزوغان
من رآني حوله لكن تناسى أن رآني
كيسك العارم بالاموال كالأيام فان
لك روح .. لي روح .. لك شان .. لي شاني
ان لبسنا قنبا ... صوفا ... فانا أخوان
أنا ان لم تنبش الاكوان بحثا عن جماني
سوف أبقى فحمة سوداء في ذاك المكان
انا نجم في سما العمر شديد اللمعان
اغدق النور على الناس بكف من حنان
فيّ اسرار الدنا مدفونة ... فيّ المعاني
فاذا استصغرتني .. لا تنس كبرى في كياني
ومضة من شررى تشعل أحراج الزمان
انبش الانسان من اغواره تعرف اساسه
تلد الماسة فحمة . . . تلد الفحمة ماسه

★ ★ ★



شعر: انور امام

أنا والنبع وآلة تنقر الصخر .. وحسان ..

هزّة الشوق للجمال الوثير
حملتنا إلى ضفــاف الغدير
فأتينـــا والصبح يرسم زهواً
فوق خـــدّ الغدير قبلة نورِ
ننشد الراحة الكسول ونزجي
شاردات الخيـال عبر الدهورِ
نرسل الشعر رائـداً عبقريّاً
ليطوف الوجود فوق الأثير

* * *

وجلسنا .. والنبع والصفصاف
والورد مثقـلُ بالعطورِ ..
كلما رنّح النسيم غصونـــاً
ناغمتها الميــاه لحن الخريرِ
وحلمنـــا بروضِ شعرٍ نضيرِ
ننتقي منه حاليــات الزهورِ
فـإذا آلة كغيمـــة همٍ
جثمت قربنـا كليث هصورُ
بزئيرٍ يصمّ أذن الـــبرايا
وصريرٍ يحز قلبَ الصخورُ
بلســان من الحديـد وقاحٍ
كلســـان الحسودِ في التنقير
ينقر الصخرَ والغنا في حشاهُ
نقرة الأثم في صفـاء الضمير
كلما نـــدّ عن حشاهـا أزير
خلتني بـين منكرٍ ونكيرِ
وأتانا المذياع يُذهب ما ابقى
سواه من نعمـــة التفكير
فكأنا في جنـــة من رياض
وكأنا من ضجّه في النشور
وأردنا النجاء .. لكن حبانا
مُبـدع الكونِ بالجمال الطرير
مثلما تنجلي على الأفق شمسٌ
ببهاها .. من بعـد غيم مطيرِ
ما حبانا .. من عدنه بحسـانٍ
حاليات كباقـــة من زهورِ
كلُ سمراء يخجل العطر إن
قورن يوماً بعطرها المخمور
كلّ شقراء كابتسام الأمـاني
رفّة الحلم في حنـايا الصدور
تتشهى الشموس أن تتفيـــا
بظلال من شعرهـــا المنثور

←

وَملأْن المكان حَولي أغاريد
ورؤيَا مخضّلة بالحبـور

فتخيلت جَنّتي ونَعيمي
أتصبّى ما بَين حُورٍ وحُور

وَأَحلن الوقار عندي انطلاقاً
لا تطيق الحسَان رؤيا الوقوُر

يتراشقن بالكلاَم غريبـاً
وأثيراً كزقزقات الطيُور

★ ★ ★

سَألتني الثقاب .. قلت فؤادي
كيفَ أشعَلته وَلم تستعيري

أتريدين شعلة مِن لهيبٍ
أم تريدين لهبَة مِن شعورِي؟.

أنتَ يا شعلة الجمال أمانٍ
سَكبتها يَـد الاله القدير

حسْنك الفاتح المغير وقلبي
في رضوخٍ لفاتحٍ ومُغير

أنا أرضى إذا غدوُت أسيراً
فأسير الحسَان غير أسِير

★ ★ ★

فترة وانقضت كما عبر
الحالم حلماً مُجنح التصوير

كلّ مَافي الحياة بؤسى ونَعمى
في انسيابٍ كالماء عند الغدير

سجائر
اللاذقية
مغلفة بالسلوفان
مزيج جديد من اجود انواع التبوغ
وباسعار مخفضة عن السابق
ادارة حصر التبغ والتنباك

الموسيقى العربية والايقاعات الحديثة

« عدنان بن ذريل »

شهدت (الموسيقى العربية) ، في مطلع هذا القرن، ظاهرة حديثة ، تفتحت في مجالاتها ، وازهرت ، وكان لها أثر كبير في حفظ تراثنا الموسيقي ، العربي ، والمضي في خدمة الموسيقى ، والتلوين ، وهي ظاهرة التنويط الموسيقي الحديث ، فانصرف المؤلفون ، والملحنون الى اتقان كتابة العلامات الموسيقية ، وقراءتها ، وتدوين مؤلفاتهم ، وتلاحينهم المختلفة ، وعلى الخصوص ، تدوين ما يحفظون من ألحان عربية قديمة ..

وقد استطاع المحدثون بالفعل ، تدوين أهم ، وأجمل ألحان الموسيقارين الكبيرين (أبي خليل القباني)، و (عبده الحمولي) : وذلك على الحفظ ، والسماع ، كما دون كثير من ألحان (كامل الخلعي) ، و (سيد درويش) ، و (عبد الحي حلمي) ، (صالح عبد الحي)، و (منيرة المهدية) ، و (محمد عثمان) و (أبي العلى) ، وغيرهم .. كما نوطت عندنا في سورية ، مئات الموشحات الاندلسية ، والقدود الشامية ، والحلبية المختلفة ..

والجدير بالذكر ان الموسيقار العربي السوري ، الشيخ (علي الدرويش) هو الذي اضطلع ، عندنا ، بتنويط الموشحات العربية المتوازنة ، كما نوط عددا من النوبات الاندلسية ، والمغربية ، كما تابع تلاميذه بعده عمله ، فنوطوا القدود المختلفة ، وكان الشيخ (علي الدرويش) قد ألف في مطلع حياته ، وأثر تخرجه من المعهد الموسيقي في استنبول ، مؤلفة القيم في السولنيج، أي علم قراءة العلامات الموسيقية ، وأصولها ..

وقد شهد الربع الثاني من القرن العشرين ، وبنتيجة ظاهرة التنويط ، تحويلا ملموسا في الموسيقى العربية ، أدائها ، وألحانها ، وايقاعاتها ، في مجالي التأليف الموسيقي ، والاغنية على السواء ، اذ تسربت الى الى الموسيقى العربية ، مع هذه الاصول الغربية الالحان الغربية ، وايقاعاتها المختلفة ، والتي كان يساعد على انتشارها ، الاحتكاك المباشر مع الثقافة الغربية ، والفنون الغربية عامة ، فانصرف نفر من المؤلفين ، والملحنين يصطنعونها ، مطورين بذلك الموسيقى العربية، وعلى الخصوص في أدائها ، وايقاعاتها ..

واذا ذكرنا أنه لم يكد يهل الربع الثاني من القرن العشرين ، حتى انحسرت المسرحية الغنائية ، الاوبريت، والتي كانت بوتقة أبداع موسيقى ، صهرت قرائح الموسيقيين العرب المحدثين ، أمثال (أبي خليل القباني)، و (كامل الخلعي) ، و (قسطنطين خوري) ، (كميل شمبير) ، و (سيد درويش) ، وغيرهم ، ولحنوا فيها على أصول عربية، ومقامات، وايقاعات عربية مختلفة..

رأينا كيف ان النشاطات المتبقية في الموسيقى المسرحية ، وتلاحينها ، وهي قليلة آنئذ ، تطورت في الربع الثاني من القرن العشرين ، ومازجتها الالحان المستحدثة ، ومعظمها سريع ، ومرقص ، بأداء حديث، وايقاعات حديثة ..

وفي الوقت نفسه صار المؤلفون ، والملحنون الى تطوير (الاغنية العربية) ، وموسيقاها ، فأقلعوا عن الادوار ، والقصائد والتواشيح القديمة ، وقنعوا بالاغاني العاطفية ، او الطقاطيق ، والقصائد الحديثة ، وقد استحدث في القصائد الغنائية الحديثة ، نوع حديث ، يعتمد شكل المقاطع المتسلسلة ، التي يتبدل فيها ، في معظم الاحيان الوزن ، والقافية ، وقد أشاعها (محمد عبد الوهاب) ، و (أم كلثوم) ، وبعضها فصيح، والبعض الآخر عامي، والتي استأثربها الحس التصويري والاداء الحديث ، والايقاع الحديث ..

وقد انصرف المؤلفون الموسيقيون العرب ، في الربع الثاني من القرن العشرين أيضا ، عن تأليف البشارف، والسماعيات ، التي كانت شائعة قبل ، ويجرونها على الاصول ، والايقاعات العربية ، القديمة المختلفة ، الى تأليف المقطوعات الموسيقية ، وهي نسبيا أقصر ، وفي معظمها تصويرية . حركتها سريعة ، وايقاعها حديث..

ويعتبر الاستاذ (محمد عبد الوهاب) الرائد الفعلي ، لهذه الحركة التجديدية الحديثة ، في الموسيقى العربية ، تأليفا ، وتلحينا ، وأداة ، وهو الذي اهتم ، على الخصوص ، بادخال الآلات الغربية الحديثة ، شل الشلو ، والفيثار ، والفيتار الكهربائي ، والماندولين ، والكونترباس ، والكلارينيت ، والاوبوا ، والجاز ، والبنجز ، والطبل .. الى جانب الكمان ، والعود ، والقانون ، والدف ، والطبلة ، والناي ..

ولا شك أن هذه الآلات الغربية الحديثة ، قد أغنت طبقات اللحن ، ووزعتها، ونبهت الى الهرمنة الموسيقية،

وذلك في حدود معينة ، نلاحظهـا يوما أثر يوم ، في التلاحين ، والمقطوعات الحديثة ، لـ (محمد عبد الوهاب) ، و (فريد الاطرش) ، و (احمد فؤاد حسن)، و (الاخوان الرحباني) ، وغيرهم ..

الا ان جهود هؤلاء الرواد ظلت ضمن حدود التطبيق، من استعمال آلات غربية ، أو توزيع بسيط لمقاطع لحية .. وظلت المشكلة الموسيقية تلح على الدراسين العرب المحدثين ، فراحوا يتناولون البحث فيها من وجهة حسابية ، ويحسبون قيم السلالم ، والمقامات، والايقاعات ، وهذه الناحية الحسابية ، ناحيـة جد هامة ، شغلت الكثيرين ، ومن أبرز الدراسين الذين اولوها عنايتهم ، ووصلوا فيها الى نتائج قيمة ، باهرة، الاستاذ (ميخائيل الله ويردي) ، الذي أظهر بواسطـة الحساب ، والاعداد ، الفروق بين السلم الفيثاغوري ، والسلم العربي ، الذي ينعته بطبيعي ، والسلم المعدل، أي السلم الغربي ، وهو الذي يصنعون بموجبه ، في بلاد الغرب الآلات الموسيقية المختلفة .. في حين يتابع اليوم المعنيون في البلاد العربية ، ومصر ايجاد الحلول المختلفة لمشكلة موسيقانا ، وتطويرها، في آلاتها ولحونها، وايقاعاتها ..

وتناولت دراساتي في الموسيقى العربية من ناحيتين، ناحية جمالية ، واخرى حسابيـة .. وقـد اهتمت على الخصوص بالايقاعات العربية، القديمة، والحديثة، فنبهت الى قيمة الايقاع العربي ، وقوته ، وكيف أنه ثمرة النفسية العربية ، وربيبها ، عاش غناها ، وعبر عن خصبها ، وكيف يمكن ان يستمر الايقاع العربي اليوم كما كان قويا ، منوعا ، ومعبرا ، ويبتعد عن التفرنج ، او السرعة المفرطة ، او العشوائية الارتجالية، التي تهدده اليوم ..

وقد جمعت اليوم مئات الايقاعات العربية الحديثة، صنفتها ودرستهـا ، واستطعت الوصول الى أصول الى أصول عربية حديثة ، ونقوش للايقاعات عربيـة حديثة ، تتابع اليوم حياة الايقـاع العربي ، ونسمح بتطوره الخصب ، المفيد ، دون التنكر لماض مزدهر ، مجيد ، أو حاضر متطور ، مبدع .. ولست اعرف اليوم احدا سبقني الى هذه الابحاث ، ولا الى النتائج الخصبة التي توصلت اليها ..

ولقد بدأت اليوم مشكلة الهرمنة ، والتوزيع تحل نسبيا ، وعلى درجات متفاوتة ، رغم ان موسيقانـا افرادية ، وان أغانينا أيضا ، أفرادية ، أي ان الالحان العربية فيها ، تؤدي ، بمقاماتها ، وايقاعاتها ، علـى الآلات بنفس الوقت ، او بالتتالي ، والتناوب ، ودون توزيع ..

ألا أن الجذور البعيدة للاسلوب العربي ، في موسيقانا ، وأغانينا ، هي في غنى (الموسيقية العربية) ، أي ، غنى الطاقة اللحنية ، والايقاعيـة ، والتي تتسـع لذبذبات ، وتهدلات شتى المشاعر ، والمعـاني ، والمواقف .. ومثل الموسيقى العربية في ذلك ، مثل الشعر العربي، وغنى الموسيقية فيه، أوزانه، وقوافيه، وعلى الخصوص بالنسبة للشعر الغربي ، عروضه ، وزنه ، وقوافيه ..

ومرد هذه (الموسيقية الشعرية) ، في الشعر العربي، عبقرية اللغة العربية ، وانها لغة شاعرية ، أو أيضا شاعرية الامة العربية ، وان العرب أمة شاعرة ، لغة الجاحظ ، تحب الشعر ، وتطرب له . وكذلك الامر في نظري ، بالنسبة للموسيقى العربية .. فان المقامات الموسيقية العربية ، والايقاع الموسيقي العربي ، والاداء الموسيقي العربي ، من الغنى ، والشاعريـة ، بحيث يتناول شتى الحيويات النفسية والاجتماعية للعرب ، في تجمعهم ، وعمرانهم ، وتفننهم ، وسواء حدوا ، او متحوا الماء ، او زرعوا ، وفلحوا ، وحصـدوا ، او ترنموا بأناشيد السلم ، والحرب ، او اناشيد الحب والجمال ، والحياة .. وكيف لا ؟. وان تلك اللغـة العربية الخصبة الايقاع ، وذلك الشعر العربي ، الفني اللحن ، هي نفسهما أيضا الملحنان ، والمؤذنان ..

ان ـــ التكرار ـــ في الشعر ، والموسيقى مظهر من مظاهر (الموسيقية العربية) ، واذا كنا نلاحظ (التكرار) اليوم في تطور خصب في الشعر العربي الحديث ، حتى شمل مجالات المقاطع ، والالفاظ .. الا انه في الموسيقى العربية القديمة ، او الحديثة ظل له المكانة السامية ، المميزة ، والتي ما يزال يحتفظ بها ، وينميها ..

ومن مظاهر التكرار في الموسيقى العربية (اللازمة) في الادوار القديمة ، أو القصائد الحديثة المطولة ، التي تتكرر فيها عند كل مقطع نفس اللازمة ، او الحانة ، والغطاء في الموشحات الاندلسية العربية ، اذ يتكون في (الغطاء) ، نفس لحن الدور الاول او الثاني في الموشح.. ومن مظاهرها أيضا (اللازمة) في البشارف والسماعيات ، والتي تتكرر عند كل خانة فيها .. وكثير من المقطوعات الموسيقية الحديثة اليوم تصطنع التكرار بصورة مباشرة، او غير مباشرة ..

يضاف الى ذلك ، بالنسبة للموسيقية العربية غنى النغم ، وتنوعه ، في المقامات العربية المختلفة ، التي تجري على السلم العربي ، بألحانها ، وايقاعاتها ، او أيضا أساليبها ، اذ يلاحظ تمازج الصوت ، ونصفه ، وربعه ، واصطناع الايبزات ، والبيولات ، وانصافها ، وارباعها ، بشكل بديع ، ساحر ، معبر ، لم يستطع

الموسيقيون كافة اليوم ، حتى أشدهم أخذا بالنغم الغربي الاستغناء عنها ، وانما على العكس كيفوا الآلات الغربية عليها ..

وقد كنت أول من نبه اليوم الى وجود نوعين من الايقاع في موسيقانا العربية، الايقاع الموصل، المتساوي المقاطع ، والايقاع المفصل ، غير المتساوي المقاطع ، في حين أن شعرنا العربي كله ، قديمه وحديثه يجري على الايقاع المفصل ، غير المتساوي المقاطع ، وذلك في نقدي كتاب : ـ قضايا الشعر المعاصر ـ لنازك الملائكة ، والمناقشات التي جرت حوله ..

وقد نبهت الشاعرة (نازك الملائكة) آنئذ ، الى ضرورة الابتداء ، في وضع عروض للشعر الحديث ، الحر، من المقطع، والحركة، أي من السبب ، وحركته، وليس فقط من التفصيلة ، ذلك ان التفاعيل العربية الاساسية التي يجري عليها الشعر العربي ، قديمة ، أو حديثة ، وهي : فعولن ، مفاعيلن ، متفاعلن ، مستفعلن ، فاع لاتن ، فاعلن ، مفعولاتن ، مفاعلتن .. في امتزاج بعضها ببعض ، او تكراره في الوزن ، ترد النغم الشعري ، الى أسباب ، وأوتاد ، وفواصل ، لا بد من الرجوع اليها .. وآنئذ يتبين ان النظام المقطعي ، المتساوي المقاطع ، الذي نجده عند الغربيين غير موجود عندنا ، وانما شعرنا كافة قديمه ، وحديثه، مفصل الايقاع ، أي غير متساوي المقاطع .. وذلك خير دليل أيضا على غنى الموسيقية العربية ..

في الموسيقى العربية اليوم ، واثر الاحتكاك المباشر مع الثقافة والفنون الغربية ، نلاحظ ان ـ التوازين ـ قد أخذ يتسرب الى الموسيقى العربية الحديثة ، وان المؤلفين والملحنين اليوم يحسبون عليه مسافات العلامات الصوتية ، واللحنية في تآليفهم ، واغانيهم الحديثة .. في حين كان التوقيع ، بلا ايقاعات العربية المختلفة ، البطيئة ، والسريعة ، والقصيرة ، والطويلة، هو الذي يحتل مكان الصداره في الموسيقى العربية ، والشرقية ، على العموم ..

وفي نظري قد يفيد (التوزين) ، التأليف ، والتلحين، والتنويط أيضا ، ولكنه لن يستطيع ان يحل محل (الايقاع) قط .. لان التوزين ، كما هو ملاحظ ، لا يتعدى الوحدة الصغرى ، او الوحدة الكبرى ، أي ٤/٢ ، او ٤/٤ ، في حين الايقاعات العربية المختلفة ، قد تصل الى مئات السوداء أو أيضا الى عشرات ذات السن ..

يضاف الى ذلك ان التوزين غير موقع ، في حين الايقاع ذو نكهة ، ورونق ، وقد لوحظ ان التوزين العربي الحديث يتخذ سمات المارش ، او البولكا ، أو النغمات الراقصة السريعة ، وأنه في غالبيته سريع ، وطياش ، قد اثبتت التجاربة فساده .. ولا بد ان يتغلب الايقاع العربي ، على اختلاف سرعته ، وعدد علاماته ، عليه ، ان عاجلا او آجلا ..

في التوزين الجديد للوحدة الصغرى ، او الكبرى ، اليوم استطعت أن أقف على ظاهرة ، هي في الاساس زخرفية ، وهي تنويع الايقاع ، عند كل فقرة ، أو مقطع ، من الاغنية الملحنة ، الموزونة ، او المقطوعة ، الموسيقية ، الموزونة أيضا .. فتارة الرقشة هي المارش، وتارة هي العمودي الصغير ، وتارة التوقيع بالسوداد، وتارة هي المعموري الكبير ، الى جانب عشرات الاشكال الايقاعية التي تمزج هذه الرقشات ، وتتصرف بها ، لتلائم اللحن ، او اللفظ المنغم ..

هذه الظاهرة السائدة اليوم في موسيقانا مع الاسف ، ان دلت على شيء ، فتدل على ان ـ التوزين ـ وحده ، غير مستقيم ، وغير كاف ، ولا يمكنه أن يستقيم وحده ، او يكفي الاداء العربي ، واللحن العربي ، الفنيين كل الغنى بالنغم ، والايقاع .. وانه يعوزه في كل مسافة ايقاع بنوع ، هو الذي يظهر فعلا وهو الذي يغلب ، بصورة عفوية ، ماتزال أيضا عشوائية ..

لقد تناسى المؤلفون ، والملحنون العرب ، المحدثون ان موسيقانا العربية ، في غالبيتها مفصلة الايقاع ، أي غير متساوية المقاطع فيه ، وان حصرها بايقاع موصل، تساوي المقاطع ضرب من العبث ، والمغامرة .. كما تناسوا ، ان الشعر العربي ، الذي يلحنون ، ويؤدون ، هو في الاساس مفصل الايقاع كليا ، أي غير متساوي المقاطع كليا، يجري على الاسباب والاوتاد، والفواصل، وانه لابد من مراعاة القيم الزمنية ، والصوتية ، واللحنية ، والايقاعية فيه كافة .

وقد استطعت على اساس نفسي ، اجتماعي ، أن أتسقط الرقشات الايقاعية المختلفة اليوم الموزونة ، والموقعة، فوصلت في دراستها الى أصولات فيها سميتها نقوشا ، هي الغالبة على التأليف ، والتلحين اليوم في البلاد العربية ، كما لاحظت أنها تثر في جهة دور أخرى من البلاد العربية ، فنعتها لذلك بعربية ، أو شامية ، أو مصرية ، أو عراقية ، على نحو ماكان ينعت المتقدمون الايقاعات العربية المختلفة .. وهذه الاصولات اليوم أمل كبير في حياة الايقاع العربي ، وتطوره ، ودراسته أيضا على اساس علمي، ونفسي، واجتماعي، وحسابي، تنصف اللحن العربي ، والاداء الغربي ، وتنصف أيضا الحس الايقاعي ، العربي ، في سرعته ، وبطئه ، في قصره ، وطوله ..

قلب الشاعر

شعر: سعيد قندقجي

مهداة الى الشاعر وصفي القرنفلي

رويد المنى يا قلب تلك مراشفي ... كؤوس على أقدارها أتقلب
جنيت من الإلهام صرفاً وهزني ... من الوحي إشراق يلوح وكوكب
ورحت أغني للحياة وأنتشي ... بخمر إلى الفردوس تنمى وتنسب
أفانين من آي البيان شدوتها ... على مسمع الأيام والدرب مخصب
وجدت بأقدامي العذاب فأينما ... حللت فلي صرح يشاد وملعب
أصوغ من الأبكار وشيا منمنماً ... وأرقص هذا الكون حيناً وأطرب
وكم راودت صهبائي الشهب علها ... تسامر ندماني وتلهو وتشرب
وما الروض إلا ما وهبتُ عبيره ... وما السحر إلا آية الشعر توهب
أطوف بدنيا لا ترى ثم انثني ... وفي أضلعي من عالم النور موكب
ولي خافق يصبو إلى كل فتنة ... فميدانه رحب ودنياه أرحب
غويٌّ نديٌّ مشرق الدرب والمنى ... طروب إذا ماهزه الشوق يُغلَبُ
ترنحه النجوى ويسكره الهوى ... فينضح من عطر الخلود ويسكب
وفيه كنوز للعطاء ونفحهُ ... أرق من الماء الزلال وأعذب
يعيش حياة الناس بؤساً ونعمة ... وفي حالتيه مشفق متوثب
يعف ويعفو عن أذاهم ترفعاً ... وليس له إلا المحبة مذهب
وإن جدت الأرزاء فالصخر دونه ... وإن سيم خسفاً فالمنية أقرب
أنوف كقلب النسر يطمح للذرى ... وهيهات غير المجد يرضيه مطلب
فلله قلب مترف الوجد والرؤى ... ولله قلب حين يصفو ويعتب
لقد وسع الدنيا وما ضاق دونها ... وأخصب فيه الحب والكون مجدب



أنني انتظر الوعد فقد ... فتح الوعد أمامي أفقا
أفقا كنت به في ظلمة ... ثم أضحى الوعد منك الالقا
كاد أن ينفتح الباب فيا ... شقوتي منه اذا ما غلقا
كلما فكرت في ابطائه ... خار عزمي وصياحي اختنقا
واذا شمت له نورا بدا ... أرج العطر بأفقي عبقا
واذا ما خبر عنه أتى ... نحوه قلبي -- وسمعي استبقا

★ ★ ★

طال عمر الوعد اني وجل ... أن أزور القبر قبل الملتقى
كدت أن أفقد رشدي بعدكم ... ثم أغدو في هواكم أحمقا
ولكم عللت نفسي في غد ... وغدي المأمول اضحى قلقا

★ ★ ★

كم تذكرت حكايا عبرت ... لم أزل أحضن منها طبقا
لم يزل ظل الهوا يمنحنا ... همسة أو نغمة أو نفقا
لم يزل زنبقنا في حقله ... عبقا يسأل عنا العبقا
لم يزل دوح الهوى منتظماً ... لم يزل غصن الاماني مورقا

★ ★ ★

اطرق الصفصاف حزنا وغدا ... كل غصن يوم بنا مطرقا
وغدا الروض كئيبا بعدنا ... ونظيم الزهر أضحى مزقا
وشذا الورد على وفرته ... راضه حر الهوى فاحترقا
والحساسين على الدوح بكت ... وانزوت حيرى وألوت عنقا
لبس الكون برودا رثة ... بعدنا والحسن منه انعتقا
عودة للحب للعيش الذي ... كدت أقضي يوم ولّى خنقا
صور قدسية في خاطري ... تركت لي من حياتي رمقا
وجنة كالصبح إما أشرقت ... شمسه . والجعد يحكي الغسقا
وفم عذب اللمى أحسبه ... وأنا أرشف خمراً غدقاً
بت أخشى عنت النديين أن ... يقحما الأسوار أو يفترقا

اسماك لطيور البحر

* سليمان عواد

١ ـ لو تفهم العاصفة معنى جنوح النفس الى الصمت الحكيم ، أكانت أعلنت جنونها المدمر ؟ !!

ان الصمت حكمة (الاعماق) المثقلة بثمارها الناضجة وعطرها المحترق الجليل ، والعاصفه عقل تملكه الجنون ، واستبدت به ثورة الغضب ، وبين الصمت والعاصفة ننشر شراع الحياة ، ونمضي !!..

* * *

٢ ـ حين تتابع سفرنا المبهم ، قطار الشهوات ، حيث يئن خشبه العتيق ، من نزوات السنين وفورة الرغبات المكبوحة ، ترى في أي محطة ، سيقف هذا القطار ؟ !!

الاختناق الروحي ينسج بيوتا من زجاج ، تكشف عن ثورة اعماقنا المكبوتة ، ولو أسدلنا على جوانبها الشفافة الف ستار ...

وفي النهاية لا بد أن يتكسر هذا الزجاج ، وتنفرز شظاياه المجنونة في اعماقنا ، ومن ثم نعود الى الصمت ، وتتابع رحلتنا الابدية الغامضة ، في قطار شهواتنا الخشبي ، وفي خلايانا ، تعوي ذئاب القرون الاولى ، قرون الوحشية وعهود الغابات ..

* * *

٣ ـ وتسألني .. لم يأكلني الحزن ، ويقتات بي السأم والفراغ ، وانا اكتم رغبة باكية في قلبي : لو كان الحزن وما يجر وراءه من اشباح قاتلة ، قلعة حصينة لهدمتها !!! ..

الحزن طير بحري يسرق مني القلب ، ويمضي الى جزر جليدية لم تطأها قدم مخلوق ...

وهناك ينعزل هذا القلب النسري مع الدببة وعجول البحر ، وانهار الجليد ...

* * *

٤ ـ حين تضيع السفن في عرض المحيط وتظهر أنوار احدى المنارات شاحبة بعيدة .

ترى ألا يعود الى هذه السفن وعيها ، ومن ثم ثقتها بنفسها ؟!!..

لقد يتراءى الى بحارة هذه السفن الضائعة ، ان المنارة عقل المحيط ، يوجههم الى مرفأ الراحة والاطمئنان ... والانسان أليس سفينة ضائعة في عرض الحياة ، والامواج ، أليست أهواءه ورغباته ؟!!.

اذا نجح العقل في توجيه خطى الانسان ، وصل الى الشواطىء الخضراء ، حيث العبير يترنم بأناشيد الغبطة ، ويشدو بأفراح الحياة .

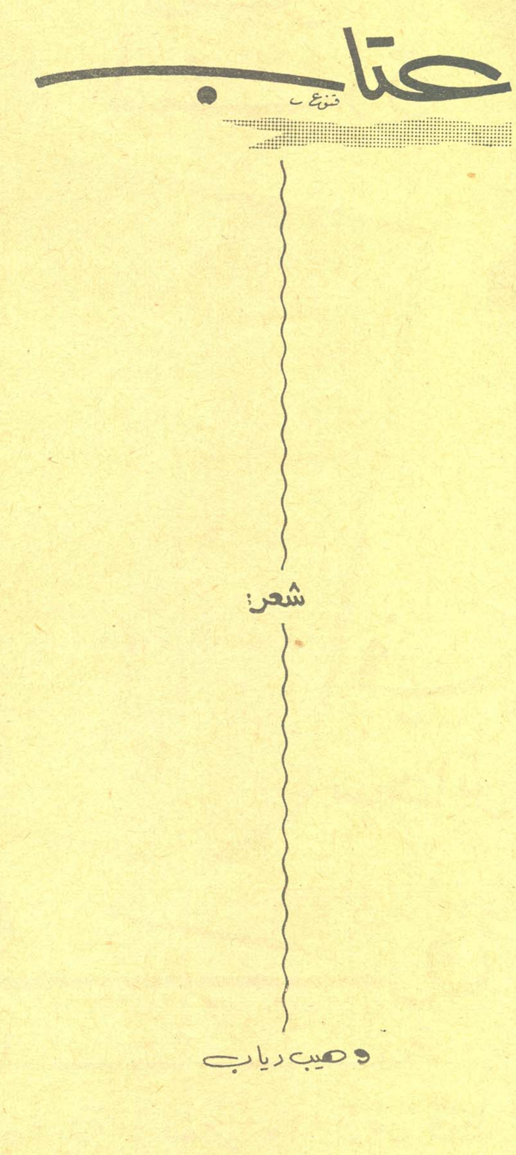
واذا استبدت به امواج اهوائه ، ضاع ، مثلما تضيع السفن في عرض المحيط ، ومثلما تضيع العقول في سهول الاهواء الثلجية ...

* * *

٥ ـ ايها الصمت الجليل أتذكر القلب الدامع الذي عبدك ، والروح التائهة التي ركعت خاشعة عند اعتاب هيكلك ؟! أتذكر الرعشات الحانية التي صممت على الدخول الى قدس ينابيعك المعزية ، وهي في الذروة من العذاب ؟!! ... وفي المساء ، حين نرتفع الأنات الشاكية من حنجرة بائع متجول فقير ، أو انسان مهدم بائس ، سرعان ماتعسكر في اعماقي الدموع ، وسرعان ما اركض لائذا بجدران هيكلك المبلل بالندم والآهات والدموع ..

سليمان عواد

من مجموعة (اسماك لطيور البحر البحر) المعدة للطبع



أفنيتَ مني اكثري بدداً فخلِّ ليَ البقيَّهْ
فبقيتي عزَّتْ عليَّ وان تكن أمست شقيهْ
عزَّتْ لأنكَ ملؤها في كل عرقٍ أو خليهْ
فأنا وأنتَ أنا ، كلانا واحدٌ ، أخوا بليهْ
ظلان من ركب الرحيل على لظى الارض العتيهْ
دعنا على الدرب الطويل معاً فغايتنا قصيهْ
سرنا به ولعله يُبقي على الذِّكرِ النديهْ
فأنا شريكك في الحياة وخير ما بي من سجيهْ
أني احبك شِبْه حبي للذي خلق البريهْ

★ ★ ★

يا من ثوى في خاطري وأضاء علياه الخفيهْ
وأراحَ في قلبي الجمالَ وكان نجوايَ الشجيهْ
واذاع في روحي السلام فشاع في نفسي التقيهْ
اني وُلدتُ بمقلتيك وكنتُ ادمعها السخيهْ
وظلال هدبك كنَّ لي أمناً وآمالاً سنيهْ
لا تلقني من اصغريك بلا عتاب أو رويهْ
هبني أسأتُ — وما أسأت كما زعمتَ — فقل خطيهْ
دعني الرفيق على الطريق فإن لي نفساً أبيهْ
مرتْ بجنات الخطايا وانثنت عنها نقيهْ
دعني أعيش كما تريد وخلِّ عن روحي الفتيهْ
إني وهبت لك الصباح فلو تركتَ ليَ العشيهْ

الحبيب المتصوف

عدنان قيطاز

لي حبيب تصوفا   أعقب الوصل بالجفا
ما عليه لوَ أنه   في ودادي تلطفا
أنا فيه مدله   لا أرى عنه مصرفا
ما احتيالي وحبه   كان للقلب متلفا
كلما ازداد جفوة   زدت فيه تلهفا
ليت من غرروا به   أكرموا حسن يوسفا
ظلموه وما دروا   قد أساؤا التصرفا

★ ★ ★

آه ياحلو لا تكن   في تجنيك مسرفا
داوِ قلبي برشفة   إن في ريقك الشفا
وبصوت محبب   إن سمعي له هفا
وبقد مهفهف   أنا منه على شفا
واتق الله في دمي   واحفظ العهد والوفا
واجعل الحب طاعة   إن أردت التزلفا

★ ★ ★

يا حبيباً إذا رنا   كان أصفى من الصفا
لست أدري أجائراً   كان أم كان منصفا
صنته بين أضلع   لا تطيق التعسّفا
مال عني وما وفا   ليته ما تصوفا

عدنان قيطاز



موكب العلم والحضارة

تعاون العلم والفن

بقلم غريغوري كريستي

ليس من النادر ان يأتي التداخل بين الطبقات المختلفة من النشاط الانساني باكتشاف طرق جديدة في معرفة العالم الذي يحيط بنا — ففي الوقت الحاضر تطرح الاسئلة التي يتطلب حلها التعاون الضيق بين العلم والفن —

ان محاولة التعاون بين كوستانتين ستانيسلافسكي — رجل المسرح السوفييتي الكبير وبين العبقري القيسيولوجي الروسي ايفان بافلوف — لهي جديرة بالاهتمام .

ففي يوم من الايام — قال العلامة الكبير . مازحا . بعد القيام بدراسة عن القردة والكلاب . انه يفكر في القيام بدراسة عن الممثلين ، والحقيقة ان هذه المزحة كانت تخبىء في طيها نيات جدية جدا ، ففي أول عهده بالبحوث — كان العلامة يهتم في رد الفعل في الطبقة العقلية تحت تأثير المثيرات الخارجية التي تجمعها اعضاء الحواس (البصر ، السمع ، اللمس) مع مرور الزمان — وكان يهتم أكثر فأكثر بردود الفعل الناتجة عن نشاط الخيال البشري .

وهذه الفحوص كانت تظهر بحالة واضحة كل الوضوح وبراقة في مجال الانتاج (الخلق) الفني .

والدليل على ذلك . المثل العديدة عن نشاط كبار الكتاب والرسامين والفنانين — التي تثبت بوضوح أن الخيال في كثير من الاحيان يثير في الجهاز البشري كله ارتجافا حقيقيا وكذلك شعورا كبيرا بالعظمة ولكن كل انتاج خلاق لا يمكن ادراكه فورا بالملاحظة — بل في كثير من الاحيان — في اعمال الكاتب او الرسام او المؤلف فان هذا الانتاج يهرب من ادراك الملاحظ او القارىء او المتفرج او السامع ولا يمكنه تقدير هذا الانتاج الا عن طريق نتيجة وليس عن طريق سير العمل ذاته . ولذا فان فن الممثل الذي يدور أمام أعين المتفرج . كان في نظر ايفان بافلوف أسهل ما يكون للدراسة .

وبدون أن نفكر فضل الحاسية او الهام عن الفنان فان ستانيسلافسكي كان لا يصدق بمصدرها الخارق عن الطبقي او خرافي — فان كان دائما يبحث عن طرق واعية للدخول في مجال الفكر الباطني للفنان . وما يسمى بـ « طريقة » ستانيسلافسكي كانت نتيجة لطريق تجارب بحتة ، ولكن في مرحلة معينة من

تكوينها كان لمؤلف في حاجة الى مساعدة علماء النفس والفيسيولوجية ليرى بوضوح في العملية المتناهية التضارب للخلق الذي يمس بالطبيعة العقلية المادية للانسان .

كان ستانيسلافسكي متأكد بان الفن الحقيقي لا يمكن ان يولد الا في حين تظهر عواطف في نفسية الفنان مشابهة الى الشخص الذي يقوم بدوره . ولكن كيف يمكن اثارة العواطف في قلبه وكيف يمكن الاحتفاظ بها عند القيام بنفس الدور عدة مرات . فالحقيقة هي ان شعورا حيا حقيقيا لا يمكن اثارته عن طريق مجهود واعي من العزيمة . اذاً فلا يمكن التأثير على العالم الاخلاقي الا بطريقة غيرمباشرة بخلق لهذا الغرض المقدمات الداخلية الضرورية والجو المسرحي الملائم . هذا هو الهدف من جهود ستانيسلافسكي . في يوم من الايام جلب نظر تلاميذه في هذا الحادث ان في مسرحية لتشيخوف التي ظلت في العرض مدة طويلة، فان الممثلة اولجا كنيبر تشيخوفا التي كانت تقوم بدور رانيفسكايا ، كانت تبكي حقيقة دائما عندما يعلون لها عن بيع بستان الكرز ، ولكن هذا لم يكن من الصدف ان تكون هذه اللحظة مرافقة دائما بنفس الشروط الخارجية ، (او بعبارة أخرى — لاستعمال اللفظ العلمي —) كانت تثار بنفس طريق دور الفعل الضرورية . فالذي يسوق الى هذا البديهية النزيهة للحوادث المسرحية والاخراج المنظم باتقان . وزيادة على ذلك فانه في الكواليس تسمع دائما نغمات الفلس المشهورة ذاتها .. (موجات الدانوب) والممثلة كانت ترتدي نفس الثياب وكانت تستعمل دائما نفس العطور التي اهداها ايها تشيخوف سابقا . ولكن ، عندما كانت في حولة . عزفوا في الكواليس فلس اخرى (خطأ) فلم تبك الممثلة .

فان ستانيسلافسكي كان يقول دائما أن عدد من التأثيرات المسرحية في مسرح الفن (الاضواء والانغام والاصوات) اقل ضرورة للناظر منها الى المثلة ، لانها تساعدها لاحياء في نفسها المشاعر السابقة .

ولكن مقارنة النهج الجسماني التي تأثر تأثيرا كبيرا في عواطف الممثل . فان نهج جسماني — طبيعي التكوين ومعقول نفسيا لهو محض شديد الفعالية لعواطف الممثل .

هذه هي النتيجة التي وصل اليها ستانيسلافسكي بعد تجارب عديدة وتفكيرات مطولة .

فكان يجل حقا في نظرة باولوف اثبات كثيرا من حدسه وتتائجه ولذلك كان يبحث في التقرب الى العلامة العظيم . ولكن لا ستانيسلافسكي ولا بافلاف لم يصلا الى تحقيق مآربهما الى آخرها . ولكن المسائل التي اثاروها ، — بدلا من تفقد من اهميتها — زادت في كونها حديث الساعة — ففي سنين عديدة ، ومجاراة للجمعية المسرحية الروسية والمعهد الطبي فان مقابلات عديدة بين كبار الفيسيولوجين من مدرسة باقلوف رجال عظماء من المسرح تلاميذ ستانيسلافسكي ففي هذه المقابلات ، تبادلوا الآراء على المسائل التي تهم ردود الفعل التي يثار بالخيال .

وفي الوقت الحالي — فيسيولوميد موسكو ولينغراد يقومون بتجارب تقليدية لدراسة خواص العواطف المسرحية .

فان تجارب ب. سيمونوف ، دكتور في الفيسيولوجيا — ومؤلف كتاب المسمى : طريقة ستانيسلافسكي وفيسولوجية العواطف — تثير كثير من الاهمية والعلامة يطبق الطرق الحديثة لتسجيل

التيرات البيولوجية للعقل ـ والحركات الموجهة من العقل ـ الحركات التلقائية، وطرق اخرى فيسيولوجية وتبديل النبض والضغط الشرياني ـ العرق ـ وجميع هذه الظواهر التي تأتي مع اثارة العواطف في جسم الانسان والمدهش حقا هو مجابهة النتائج التي حصل عليها والتي تخص التغييرات الفيسيولوجية تحت تأثير عوامل حقيقية وعوامل الحياة من جهة وتحت تأثير عوامل مسبقة ـ التي خلقت خيال الشخص الموضوع تحت التجربة ، فاذا قيل للمريض انه سوف يحقن بحقنة مؤلمة ، فان انتظار الالم يثير فيه رد فعل غير ارادي من الخوف ومن القلق والاضطراب التي تتزايد كلما اقترب وقت الحقن وتزول بعد الحقن مباشرة ، فان نفس الارتفاع والانخفاض في الشعور بالخوف تلاحظ عند الممثل الذي يطرح عليه ان يتخيل انه سوف يحقن في خلال عشرين ثانية ، فان فترة الحقن الخيالية تثير عند الرجل الذي يتمتع بالخيال ، قلق ليس باقل من الذي تجده عند المريض وفي كثير من الاحوال يكون القلق اكبر . والدليل على ذلك هي ان الالآت المستحدثة في تلك الحالتين تثبت ذلك .

فان تجارب عديدة قد جرت حاليا من رجال العلم ورجال المسرح السوفييتي تشير الى ان المؤثرات الخيالية تقوم بعمل ليس اقل أهمية على جسم الانسان من المؤثرات الحقيقية ، وينتج من ذلك ان وجهة النظر للطريق الفيسيولوجية ـ ان عواطف الممثل على المسرح يشابه العواطف الحقيقية في كثير من النقاط . ولذلك فالجدير بنا ان نلاحظ ان الفعالية لا تتم الا في حالة بدء الممثل القيام بعمله تجاه الغير الحقيقية كأنها حقيقة واقعة ، واذا كان داخليا غير مبال واذا اكتفى بمحاكاة عواطف الخوف ويتظاهر بها بواسطة المحاكاة وبعض حركات من الجسم ـ فانه لاتحدث أن تظهر أن تأثيرات داخلية وان آلات الرقابة التي تساعد العلماء في تخطيط خط السير بين الفن المسرحي الحقيقي او الفن الهزلي لا تسجل أي رد فعل .

ولما رأى سيمونوف ـ ان طريقة ستانيسلافسكي مؤسسة على وحدة عضوية الظواهر الطبيعية ، تساعد الفيسيولوجية على فهم بعض الفحوص المتعلقة بالحركة العصبية العليا للانسان . فالبحاثة السوفيتيون يقدرون أن المستقبل المفتوح من دراسة الفحوص الخلاقة هي حقا لا حدود لها ويمكن بمرور الزمان الوصول الى حل لمسائل الابداع الفني لطائله سهلة المنال .

فان تعاون علماء النفس والفيسيولوجيون الى حل مسائل الابداع الفني على قاعدة علمية تساعد رجال المسرح على كشف بعض قوانين الفن المسرحي والنظر في تطبيق نظريتهم .

ان لجنة خاصة مكلفة بدراسة اعمال ستانيسلافسكي ونمير وفتيش دانتشيكو ـ المؤسسة قرب المسرح الفني بموسكو هي بعلاقات ضيقة مع بعض معاهد البحوث . لان النظرية المسرحية لستانيسلافسكي والطريقة الفنية التي بحثها يجب القيام بتوسيعها واكمالها ان طريقة ستانيسلافسكي تأثر حاليا تأثيرا عظيما على الممارسة والتعليم المسرحي ليس فقط في روسيا بل في بلاد كثيرة أخرى . ولكي نكون امناء على عقائد ستانيسلافسكي فدراسة نظرية حقيقة المسرح في يومنا هذا والغد يجب ان تلاقي تأييدا ليس فقط في التجربة التي يحظى بها على المسرح بل على تحقيقات العلم الحديث ايضا .

وكما ان الميكانيك ساعدت في الماضي لنظريات هندسة البناء وكما فعل علم الصوت في نظرية الموسيقى، وكذلك علم الطبيعة وخاصة الفيسيدوجية في النشاط العصبي العلوي تساعد على الدخول أكثر عمقا في اسرار الموهبة الفنية ولعب الممثلين .

مع العدد الماضي

حول مقال الدكتور محمد صبحي ابي غنيمة «أسرار الاحلام»

بقلم : حامد حسن

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالَمُ الأكبر

رددت هذا البيت كثيرا ، وانا اتتبع باهتمام بالغ ، وألتهم بنهم ، ولذة طاغية مادبجته يراعة الكاتب العالم ، الدكتور صبحي ابي غنيمة ، في كتابه « نظرة في أعماق الانسان » ، ومقاله الاخير في مجلة «الثقافة» ، «اسرار الاحلام » •

غريب، وعجيب هذا « الجرم الصغير» الانسان!! الذي انطوت فيه العوالم من علوية ، وسفلية ، فكم في اعماقه ، وأغواره ، وأبعاده ، من مجاهل واسرار ، يقف العلم منها — على سعته وشموله واكتشافاته — موقف الحائر •• المتهيب •• العاجز •

والانسان نفسه الذي استطاع — بما أوتيه من أداة عقلية ، مفكرة ، مبدعة — أن يكتشف الكثير من خفايا الطبيعة ، ويخضع العديد من عناصرها لخدمته ، ويسخرها لمنفعته ، والذي يحاول دائما ان يذلل عنفوانها ، ويردد مجاهلها ، ويحتل أفلاكها ، •• هذا الانسان لم يستطع ان يكتشف ذاته ، ويحيط بنفسه ، ويسبر أعماقها ، ويعلل مختلف ظواهرها ، وما يصدر عنها ، مما هو خارج عن حكم ارادته وسيطرتـه ، ومقاييسه العلمية •

الانسان الذي غزا الكواكب ، واتسع نطاق حلمه وأمله الى ما وراء الاقمار ، وأحرز ما أحرز من نصر وفتح ، وتفوق علمي في هذا المضمار ، عجز — الآن — عن نشر مخبآت نفسه واكتناه اسرارها •

ان ما يقوم به الدكتور صبحي أبو غنيمة في مجال اكتشاف مجاهل الانسان، والادلة العلمية التي يسوقها بين يدي أبحاثه ، لا يقل خطورة وشأنا ونتائج ، عما يقوم به العلماء من ارتياد مجاهل الكون ، والفضاء• وان هذه الابحاث لتتعادل ، وتتساوى طرافـة وجدة ، وعلمية •

هناك اسرار مذهلة يزيح ستارها مرتادو المجرات ، وهنا حقائق وخفايا ، يوضحها ويظهرها الذين نذروا انفسهم لدراسة هذا « الجرم الصغير •• الكبير » •

والاحلام •• هذه الظاهرة الغريبة التي لم يستطع العلم — على اهتمامه بها ، وتتبعه لها — ان يضع لها الضوابط الصحيحة ، والقواعد الثابتة ، ولا ان يعلل اسبابها ونتائجها ، نرى الدكتور أبو غنيمة يحمـل مقاييسه العلمية ، ومصباحه النافذ الى الاعماق فينير كثيرا من الجوانب المظلمة ، ويزيح الدجنة التي تسربل هذه المتاهات ، وتغلف هذه المعميات ، فيمهد السبيل أمام العقل والعلم ، لاقتحام حواجزها ، وفتح مغالقها•

لقد رافقت الاحلام الانسان منذ تنسم الحياة ، والقى نظرته الاولى على هذا الكون العاج بالاسرار ، وبدأ عقله يكتشف هذه الاسرار شيئا فشيئا كلمـا تدرج في سلم الحضارة ، ويضيف مكتسبات جديدة الى تراثه الحضاري • ومع كل ذلك ظلت الاحلام لغزا معمى لم يستطع حله ، وعالما مجهولا لم يتسن له ارتياده •

لقد حاول كثيرا ان يعلل ظاهرة الاحلام •• هذه الظاهرة التي تتصرف بعقله الباطن ، وتشغل الحيز الكبير منه • ولم يستطع عقله الواعي ان يروضهـ

فتنقاد له ، ويخضعها للادارة ، وكل هذه المحاولات ـ على تعددها ـ باءت بالاخفاق لانه لم يهتد الى معرفة السبب الاول •

لنلق نظرة على التاريخ ، فنجد يوسف الصديق يحلم ، فيرى احد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين له • ويؤول ابوه يعقوب هذه الرؤيا فيقول: لاتقصص رؤياك على اخوتك ، فيكيدوا لك كيدا •

وعزيز مصر يحلم ، فيرى سبع بقرات سمان ، يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات •• ويفسر ذلك بسبع سنوات خصب ، ومثلها سنوات جدب •

ورفيقا يوسف الصديق في السجن ، يحلم أحدهما بأنه يعصر خمرا ، ويحلم الثاني بأنه يحمل خبزا على رأسه تأكل منه الطير ، •• ويكون تفسير ذلك : أن أحدهما يصبح نديم الملك يسقيه الخمر ، والثاني يصلب فتنتاشه جوارح الطير •

ما الروابط بين هذه الاحلام ، وبين الواقع الذي تنتهي اليه ؟

ما هذا البشير بالخير ؟

وما هذا النذير بالشر ؟

ولماذا تلفع البشير والنذير بألف ثوب وثوب ؟ وكيف يمكن الاهتداء اليه ؟ وتعريته مما يغلفه ويحجبه ؟؟

وأبحاث الدكتور أبي غنيمة تحاول في أصرار علمي أن تجيب على هذه الاسئلة التي ترددت على الألسنة قديما وحديثا بمرارة ، ولهفة واستجداء •

ورد عن الرسول « ص » انه قال : لم يبق بعدي على الارض من النبوة الا المبشرات ، ولما سئل عن المبشرات قال : هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح •

وقال : الرؤيا جزء من أربعين ألف جزء من النبوة •

وقال ايضا : اذا رآنا أحدكم في منامه ، فرؤياه صادقة لان الشيطان لا يتزيا بنا •

وقال : اذا سمعتم صهيل الخيل في الليل فكبروا، فانها رأت ملاكا •

وفي القرآن الكريم : وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا •

وهذه الآيات والاحاديث تشير الى ان الاحلام تنذر بشر ، او تبشر بخير •

ولنتساءل : هل ان هذا الانسان الذي حمل معه ـ عبر التاريخ الطويل ـ تراث اجداده الاول وخصائصهم ، حمل معه أيضا تراثهم الضخم من الاحلام ؟؟

وهل يمكن ان تكون الاحلام ـ احيانا ـ بعثا لذكريات ماضية ، موروثة ، هاجعة في اعماق الزمن، ولا تمتد الى المستقبل ؟؟

وكيف يمكننا في هذه الحالة ان نفصل الماضي عن الحاضر ، او المستقبل ؟

يقول « فرويد » : ان الاحلام رغبات كبتية حالت ظروف اليقظة دون تحقيقها ، فتحققت في الرؤيا •• وكانت الرؤيا عملية « تصعيد » •

هذا صحيح وتدعمه التجربة والحقائق العلمية•• ولكن هل كل رؤيا عبارة عن تصعيد رغبات مكبوتة؟

ولماذا تتنكر هذه الرغبات ، وتلبس لبوسا مختلفة، وتسلك طرقا ملتوية ؟؟

وفي هذه الحالة : كيف يتمكن العلم من اماطة اللثام عنها • وهتك هذه الاستار ، ليصل الى خفاياها في هذه الطرق المتعرجة ؟

شبه احدهم الاحلام « بدسام الامان » ، فكلما طغت هذه الرغبات على النفس انفتح « الدسام » وتخلصت النفس وأجهزة الجسم من ضغطها •

ولكن من المسؤول عن حراسة هذه الاجهزة ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟ واين هذه الاجهزة وكيف تعمل ؟

يقولون : ان الحالم الذي يهرب في الحلم من عدوه ، ولا يتمكن من الخلاص يكون في وضع

جسدي غير مريح •• وقد يكون مثنيا رجليه •

وعلى عكسه الحالم الذي يستطيع ان يهرب من العدو ، ويطير احيانا في الحلم يكون متمددا ومتراحيا وفي وضع طبيعي مريح •

وهذا يتلاقى مع الحقيقة العلمية ـ لان الدماغ هو المدبر ، والمسيطر على الاجهزة سواء في النوم ، أو اليقظة ، وعندما تضغط الرغبات الكبيتة .. كما تقرر ـ على النفس والاعضاء يرسل هذا « الحارس الاكبر المنظم » أمره للاجهزة « التي يهمها الامر » فتقوم « بالتنفيذ » ، فاذا كانت هذه الاجهزة في وضع وحالة طبيعية تلقت الامر ونفذته بسرعة ، واذا لم تكن بحالة طبيعية تعرقل سير العمل ، وتأخر «التنفيذ» أو وقع الاضطراب والتشويش •

وان أي وضع غير طبيعي للجسد يعيق سرعة وصول « الانذار » وعملية « الاصدار » الى مراكز « التنفيذ » وينحرف بالاتجاه •

ولقد اشتغل العرب بالاحلام ، وتفسيرها : ووضعوا لها الضوابط ، استوحوها من التجربة • والتجربة هي الواقع العلمي ، ولعل لغة العرب من اغنى لغات العالم بمسميات الاحلام ، فهناك : الحلم ، والرؤيا ، والطيف ، والمنام ، والخيال ، والهاجس ، والطارق ، وامثالها •

قسم العرب الشهر « القمري » الى أربعة أقسام• ورجحوا صحة الاحلام ، او بطلانها ، أو قرب وقوعها، او تأخيره تبعا لهذه الاقسام •

ولا تخلو هذه النظرية من حقيقة علمية ، لانه من الثابت ان لنمو الهلال او نقصانه أثرا في الطبيعة، ويتجلى هذا الاثر واضحا جليا في حالتي الجزر ، والمد في البحار ، وقيل هذا الاثر او التأثير لا يقتصر على حركة المد والجزر ، بل يتجاوزها الى كل الكوائن الحية ، كالانسان والحيوان ، والنبات •

والانسان في حالة المرض والاضطراب ، ترتفع عنده نسبة الاحلام، اكثر من حالة الصحة والاطمئنان،

ويشاهد أثر ذلك في « الحميات » حيث تتحول الاحلام المتقطعة الى احلام مستمرة متلاحقة ، مضطربة ، ندعوها بالهذيان « الهجر » •

وقسموا الليل الى ثلاثة اقسام ، واعتبروا الاحلام التي تقع في مستهله ، اضغاث احلام ، والتي تقع في آخره صحيحة او محتملة الوقوع •

وهذا ايضا غير بعيد عن الواقع العلمي ، لان الحالم في أول الليل يكون قريب العهد بحوادث النهار ، وكمية الطعام التي تناولها في عشائه ، لم تزل في معدته ، ولم تهضمها بعد ، ويكون العكس في آخر الليل •

واشترطوا ايضا لصحة الحلم ، او إمكان وقوعه أن يكون الرأس خاليا من الوجع ، والبطن خاليا من الشبع ، والقلب خاليا من الفزع • وكل ذلك يرتبط بحالة الجسم العامة •

وكل ما توصل اليه اجدادنا العرب بالتجربة والتواتر ، لا يتعارض مع ما يقرره العلم الحديث غير ان النظريات الحديثة اكثر عمقا ، ودقة ،وشمولا•

ان الجسم ، هذا « العَرَض » الذي يتحلل الى ذرات مادية بعوامل « التحلل » قد تلاقت فيه هذه الجواهر البسيطة ، وتفاعلت معه فنشأ من هذا التفاعل ، والازدواجية ظواهر عديدة توصل العلم الى تقليل بعضها ، وتحديد بعضها الآخر ، وعجز عن الكثير منها •

وسيظل هذا « الجرم الصغير الكبير » هدف العلم والعلماء ، وسيضيفون في كل يوم حلقة جديدة الى سلسلة اكتشاف هذا « المجهول » •

ولئن كان للامم علماؤها المختصون في هذه الابحاث كفرويد ، وكميل فلاماريون ، وغيرهما ، فان الامة العرب الدكتور ابا غنيمة •

اننا نتطلع الى المزيد من دراسات الدكتور ابي غنيمة ، ونظراته في اعماق الانسان لتكون لدى مثقفي الامة العربية مرجعا علميا في هذه المواضيع •

خواطر حول (أسرار الاحلام)

بقلم : الدكتور صلاح الدين رجب

حاجتنا الى تركيز اهتمام الناس حول « اليقظة » اعظم بكثير من جلب اهتمامهم نحو احلام النوم او احلام اليقظة ــ من اكبر نعم العصر الحديث تحرر الناس من كابوس الاحلام .

لئن كانت السياسة العربية قد غنمت غنما عظيما بانحياز الدكتور محمد صبحي ابو غنيمة (في جانب هام من نشاطه الفكري) الى ميادينها الفسيحة ، ولئن كانت مهام السلك السياسي تشغل حيزا هاما من وقت الدكتور (ابو غنيمة) ، فاني واثق كل الثقة من ان الجانب الاصلي والاهم من مجالات ينبوعه واهتمامه مايزال وقفا على العناية بالطب والصحة الجسمية والنفسية ، ولئن كان الدكتور ابو غنيمة قد اثبت انه نجح في التطبيب منذ اكثر من ثلاثين عاما ــ وانا على ذلك شاهد حسبي ــ فانه في مجالاته هذه كلها قد اثبت انه رائد حر مخلص من رواد الفكر العربي الحديث وان نظرته في اعماق الانسان لتشهد له على ذلك السبق الفريد في عالم الفكر وفي عالم الطب وفي علم الصحة النفسية .

ومع ذلك فاني استميح لنفسي المعذرة اذاتعرضت بالتعليق ببعض الخواطر على المحاضرة الاولى من الجزء الثاني من كتابه القيم (نظرة في اعماق الانسان) التي تلطفت مجلة الثقافة الغراء فنشرتها في عددهـا الثاني عشر الصادر في شهر آب عام ١٩٦٤ .

لا شك ان الناس مولعون ــ الا القليل القليل منهم ــ بالاهتمام بالاحــلام والتسابق وراء تفسير الاحــلام لان السعي وراء المجهــول غريزة ولكني لا اود الذهاب الى المدى البعيد الذي ذهب اليـه (لومبروزو) حين يقول (ان اكثرية الشعوب تؤمن بحقيقة الاحلام اكثر من ايمانها بوجود الله .) لان ايمان الناس بالله في القديم والحديث هو اقوى بكثير من الايمان بالاحلام لامر واحد بسيط من اسبــاب كثيرة تجعل الاحلام عرضة لتشويش اللاشعور وتأثره بكثير من الحقائق والاوهام في آن واحـد وكثيرا ما تركت المشاهــد او المسموعات او المأكولات او الادوية التي يتأثر بها المرء في اليقظة آثارا بعيدة او قريبة واحيانا معكوسة في الاحلام التي يمكن تصويرها بانها انعكاسات اصــداء المؤثرات الكثيرة المادية والمعنوية في الشعور واللاشعور ، او في العقل الباطن والعقل (الظاهر) ان صح هذا التعبير ، اما الايمان بالله فهو نتيجة فكر ووعي وادراك بعيد الاغوار تجعل المرء يطمئن وهو في اليقظة يتمتع بجميع قواه العقلية والنفسية والجسمية الى ان الايمان بالله امر حتمي ومنطقي وطبيعي لا يستقيم الفكر السليم الا بالاخذ به عند تفسير خلق الخلائق عظيمها وحقيرها فكلاهما يستوي عقلا بانه لا يمكن ان يوجد صدفة او من نفسه ولكنه وجد لان هناك قوة كبرى اوجدته .

ولئن كان من المؤسف حقا ان ينساق البشر في القديم ، يقودهم زعماؤهم من عظماء التاريخ الى شن الحروب بسبب بعض الاحلام التي كان لها الاثر الفعال في بدء الغزو او انهائه ، وفي فرض الحصار او في فكه ، بحيث كانت مصائر الشعوب والمدن والممالك تتقرر بفضل حلم ثقيل او خفيف أو بفضل كاهن او منجم يرصد احدهما الكتب الصفراء ويرصد ثانيهما النجوم والكواكب فيصدر الحكم الفيصل في امور خطيرة جدا تتحكم بمصائر امتين من الامم احداهما مهاجمة والاخرى مدافعة ، فاني اجد من دواعي الغبطة والسعادة ـ نسبيا ـ ان الناس وقادتهم في هذا العصر الحديث قد تحرروا الى حد كبير من ذلك التحكم الفظيع الذي كانت تفرضه الاحلام والنجوم على عقول القادة ومن بعد ذلك على مصائر الامم أو الشعوب فترسم خط سيرها نحو الهلاك او الاستعلاء ولذلك فاني لا اوافق في هذه النقطة العليم (أبو غنيمة) كما اني لا اوافق في قوله (ان انهماك المحدثين اليوم بالاحلام لايقل عن ماكان بالامس ولكن السبب يختلف كثيرا ..) ذلك لان الاحلام في عصرنا الحديث اخذت مكانها المحدود في مجالات الدراسات الحديثة او في مخابر التحليل النفساني ولم يعد لها ذلك السلطان المطلق على الافراد والجماعات وخاصة منهم من اوتي حظا من التفكير الحر .

واذا كنت اجد كثيرا من الحق والصدق في قول الدكتور ان الدراسات الحديثة قادتنا الى اكتشاف امر هو على غاية من الخطورة وهو اننا نحلم باستمرار وان الحياة ليست اكثر من حلم طويل يصوره القول المأثور (الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ..) فاني ارى ان الحقيقة الثانية التي اوردها التعليم والتي يشير اليها الفيلسوف الصيني (تشو انغ سه) في قوله (حلمت بالامس انني اصبحت فراشة .. فراشة ترفرف هنا وهناك .. اتبع اهوائي كما تتبع الفراشة اهواءها .. واستيقظت .. وها انا ذا كما كنت .. انا نفسي غير اني لا ادري (هل كنت هناك الانسان الذي يحلم انه فراشة ام انني الآن الفراشة التي تحلم انها انسان !.) تلك الحقيقة فيما ارى ما هي الا حقيقة فلسفية يراد بها التفكر والتأمل والاعتبار ولا يراد بها الحقيقة العلمية الفيزيولوجية لان ذلك يقودنا الى الوهم بتناسخ الارواح فيكون هذا اصله فراشة وذاك اصله نملة وذلك مرده الى العنكبوت .

ولقد اعجبت كثيرا بالذوق الادبي الراقي وتحالفه مع الفكر العلمي النير اللذين عبر عنهما (ابو غنيمة) في وصفه الصور الشعرية الخيالية بانها احلام اليقظة التي تحبب الينا الشعر وتجعلنا نبحث عنه ... ولكني أقول انها تجعلنا نهواه ونتيم به ...

واني مع اقتناعي التام بتأثير الخرافات والاساطير على اذهان الكبار والصغار لانها تترك في ذاكرتهم او في وجدانهم وعقلهم الباطن كثيرا من الصور القديمة التي تؤثر كثيرا في اعمالنا ... الشعورية منها و (اللاشعورية ...) حتى سماها بعض الاساتذة (العقل الاسطوري) او الحاسة السادسة !... ومع تسليمي بان هذه الامور كلها لها عظيم التأثير في تكوين احلام اليقظة عند الاطفال الصغار وعند الاطفال الكبار على حد سواء ، ومع ايماني التام بضرورة عدم الاستخفاف باحلام اليقظة في الطفل لانها من الاشياء الطبيعية والضرورية لنموه وان احلام الاطفال لها مغزاها الكبير ، فاني اريد من هذا التعليق ان تقتصر الاحلام على دورها المحدود سواء أكان ذلك

بالنسبة للاطفال أم بالنسبة الى الرجال الصغار أو الى الرجال الكبار ... وان لا نبالغ في اعطائها دورا أعظم من ذلك بكثير .

ومما يؤكد قوة الميل الادبي الأخاذ لدى الدكتور (ابو غنيمة) انه جنح الى ترجيح التعريف الادبي المسرحي على التعاريف العلمية فقد اعتبر ان تعريف (فرويد) للحلم بانه الطريق الى النفس او انه حارس للنوم وتعريف (ولبوف) له بانه تتمة لعمل اليقظة وتعريف (روبيرت بيتز) بانه عملية افراز ، وتعريف (شرنر) للحلم بانه القيام بعمل مستقل لا يمكن عمله في اليقظة ، وتعريف (بيه رره) بانه الطريق الى الشفاء ، ان كل هذه التعاريف بنظر الدكتور لا تشفي غليلا وهي عرضة للاخذ والردوأن التعريف الصحيح للحلم هو انه (مسرحية يقوم بتمثيلها الدماغ على شاشة الرأس فيقوم فيها بدور المؤلف والمخرج والممثل والملقن معا اما المتفرج الوحيد فهو انت ايها الحالم !..) ولكن هذا التعريف في نظري ماهو الا وصف ادبي تغلب عليه مسحة الشعر والادب والخيال فهو تعريف الشاعر الاديب وليس تعريف العالم لانه يصف الحلم من خارجه لا من داخله فهو لا يبين حقيقة الحلم وبواعثه المادية والمعنوية ولكنه يصفه من خارجه بانه لوحة مسرحية اتحد فيها المؤلف والمخرج والممثل والملقن فهو أقرب الى الوصف منه الى التعريف .

والامر الآخر الذي رأيتني لا اتقبله بسهولة هو قول الدكتور ان الفرق بين مسرحية الحلم وغيرها من المسرحيات هو انها على الرغم مما يبدو فيها من عوج وابتعاد عن المنطق وسخف صادقة كل الصدق في كل حرف تقوله في دورها التمثيلي (وليس هناك اصدق لكم من احلامكم) ولكني اذا كنت اوافق الدكتور في ان بعض الاحلام لا بل اقل من القليل منها صادق كل الصدق في كل حرف تقوله فان اكثرها متخبط متناقض سخيف والقليل منها هو المختلط الذي تجد فيه الوضوح والتناسق والانسجام الى جانب السخف والخيال البعيد بحيث يكون بعضه صادقا وبعضه وهميا او كاذبا او مقلوبا واكثر الاحلام لا تفسر الا بمعكوساتها او بما يخالفها وهنا نجدانفسنا قد انجرفنا الى الاساليب الصوفية في التعبير والتفسير فهي كثيرة التعاريج والتخاريج حتى يكاد يجدها المرء قابلة لكل لون من ألوان التحليل البعيد مما يجعل العقل والمنطق السليم مهزوزا مضطربالا تستبين له حدا واضحايعصم من الخطل او الزيل .

واخيرا يسرني ان اسجل باعجاب كبير اهتمامي بالقسم الاخير من هذه المحاضرة وهو يتحدث عن مملكة الجسم التي يفوق عدد سكانها بملايين الملايين سكان الكرة الارضية والتي تدار كلها من المركز الذي هو الدماغ ولكن كل ما يثير الجسم ماديا او نفسانيا وكل ما يثير خلية من خلايا الجسم تظهر صورته في الدماغ بالمسرحية التي اوضح الدكتور نموذجا منها ..

وان من أجمل الامور التي أثارتها هذه المحاضرة التجارب التي قام بها (مورلى فولت) وهي جعل النائم يتنشق الكولونيا ، وان يقرص في رقبته وان يوضع على جبينه بعض الماء ، فلهذه المؤثرات كلها ردودها المنعكسة في أحلام النائم .. وهنا احب ان اقترح على السيد المحاضر ان يعود الى التوفيق بين هذه التجارب العلمية ودراسة آثارها ونتائجها وبين تعريف الحلم الذي اختاره فجعل فيه الدماغ مؤلفا للمسرحية ومخرجا وممثلا وملقنا معا ، وان ينظر في حقيقة راسخة وهي ان الدماغ منفعل في تلك الحوادث وليس فاعلا مبدعا في تأليف تلك المسرحيات بل هو

متأثر بما يصيب الجسم من مؤثرات أو ادوية أو أطعمة تفعل فعلها في الجسم من طرق شتى بعضها محسوس بالحواس الخمس او الست وبعضها نفساني فكري ، وبالنظر لكثرة تلك المؤثرات على الانسان ، حتى لتكاد لا تعد ولا تحصى ، فان آثارها المنعكسة في الدماغ تكون مضطربة مشوشة متصارعة ، وهي لذلك بعيدة كل البعد عن ان تكون (صادقة كل الصدق في كل حرف تقوله) ونحن نرهقها كثيرا من العنت والتكلف حين تتطلب منها ان تكون صادقة كل الصدق في كل حرف تقوله وما دام السيد الدكتور قد عرف الاحلام بانها مسرحيات فهل يعقل ان نفرض على المسرحيات ان تكون صادقة كلها في كل حرف او في كل كلمة أو قصة أنها ما دامت مسرحية فيجب ان يكون الخيال ذا دور كبير في سداها ولحمتها وان تكون المبالغات والتصورات الغريبة جزءا رئيسيا فيها .

واني لاحمد الله على ان الافراد الذين يصدقون الاحلام ويستسلمون لقدسية مدلولاتها آخذون في التناقص وانه كلما تثقف المرء كلما ازداد ميلا الى الحقائق لا الى الاحلام ، ولقد كان الناس الى عهد قريب يسارعون الى احد الشيوخ او احدى العجائز لتفسير الاحلام وقد صنف بعضهم في ذلك التصانيف العديدة ، ولكنني ارى أن من نعم الله على الناس ان العلم آخذ في التوسع وازدياد التأثير على الناس والعلم يضع الاحلام في موضعها الصحيح فلا يجعلها في مستوى الالهام الذي يصدق في كل كلمة من كلماته ولا ينحط بها الى مستوى الهراء واضغاث الاحلام ، بل يقرر انها صورة نفسية لا شعورية وان بعضها صاف صحيح وبعضها مشوب بشوائب الاوهام او الامراض او المآكل الغليظة او المشاهدة المثيرة او الاساطير الغريبة او القصص المؤثرة .

وكل ما أقصده من هذا النقد البريء هو ان تقف الاحلام عند حدها العلمي الصحيح ، فلا تتجاوزه الى التحكم المطلق بالتفكير والارادة ، فلا يجوز ان نبحث فيها عن الماضي والحاضر والمستقبل ، ولا ان نبني تصرفاتنا واحكامنا على ما يخيل الينا انه مدلول حتمي للاحلام التي نحلم بها لا نني اعتقد ان ذلك ينساق بنا الى الضياع والتشتت ويجعلنا ونحن كبار متعلمون لا نختلف في الخضوع للاحلام عن الاطفال والجهال الذين يعيشون في يقظتهم وفي منامهم في الاحلام والاوهام والاساطير .

وختاما ارجو ان يتسع صدر السيد العليم لهذه الخواطر وان ينظر اليها نظرة الحليم الذي يحب ان يحيط بآراء أحد قرائه المعجبين بعلمه وجهده واني لجد مشوق الى الانتفاع بالاقسام الاخرى الجليلة النفع من اجزاء مؤلفه الضخم القيم والله من وراء القصد وهو يهدي الى سواء السبيل .

صدر حديثاً :

النافذة المغلقة

وقصص اخرى

للأديب القاص

يوسف جار الله

أبعاد العمل الجديد

على الرغم من أن أوبريت « الأم والوطن » لم تعرض سوى حفلة واحدة خاصة واحدة كانت المقاعد الامامية فيها محجوزة للسلك السياسي ، مما لم يتح للجميع رؤية الاوبريت عن كثب ، فقد ارتفعت أكثر من اصبع ، تعطي آراء ارتجالية بالموضوع . وأقول ارتجالية ، لان هناك من شاهد الاوبريت عن كثب قبل عرضها على مسرح المعرض في المسرح العسكري وخرجوا جميعا ليقولوا اننا حصلنا على اوبريت بمستوى رفيع جدا ... وكنا — باعتزاز — من اولئك الذين قالوا ذلك لاننا أستطعنا أن ندرك بعد أن رأينا هذا العمل مرة واثنتين وثلاثة ... أبعاد اشادة عمل فني من هذا النوع ، لم نحاول أن نحصر نفسنا في اطار الاوبريت فقط ، بل حاولنا أن نبحث ماذا يمكن أن تقدم هذه الاوبريت ..؟ والى أي مدى يمكن أن تدفع بالحركة الفنية في هذا البلد ... مما لم يخطر في ذهن أحد مطلقا ، مطلقا ... أن ينظر لهذه الاوبريت من هذا الجانب ، او ببحث في هذا المد الجديد ... هذا الفتح الجديد .

فمن ناحية الرقص ... لاول مرة نرى في بلدنا الرقصة ذات الموضوع ، والتي تحمل المعنى في كل حركة من حركاتها بعد أن كانت الحركات مجرد حركات ترتفع وتهبط على نغمات (الطبلة) . كل ذلك بعملية تطوير قام بها الخبير الى الرقص السوري ... وأنا متأكد تمام التأكيد من أن مجرد عرض لوحات للرقص لن تلقى بعد اليوم أي اقبال من المشاهد في هذا البلد ، بعد أن لمس روعة الرقصة حين تحمله الى عالم الجد ... في اطار قصصي . بالاضافة الى ان الرقصة المحلية لم تعد محلية ، بل انطلقت في مد جديد عالمي ، يخولها أن تعرض في كل مكان .. وفي كل زمان ..

ومن ناحية الموسيقى ... استطاعت هذه الاوبريت أن تصور وتوضح في حركات الراقصين المعاني الموسيقية التي ترافق الرقصات .. ومن هنا استطاعت الاوبريت أن تكشف عن جمال المعاني الموسيقية .. وبالتالي تمكنت أن تنبه المشاهد الى هذا الجانب من الجمال الذي نفتقر الى ادراكه كثيرا ..

... ومن البديهيات أن مثل هذه الاوبريت ستخلد التراث الشعبي من فن الرقص والعادات والتقاليد التي تحمل الى الاجيال طبائع الشعب وتراثه وطرق حياته ومعيشته .. ثم هناك الازياء ، التي أخذت من الاصل .. من قرى جبل العرب وحماه بصورة خاصة ، ووضعت كما هي .. وهناك ايضا الديكور الذي قدم نموذجا حيا للمنزل الريفي ولعين الماء عند السفح ، ولساحة القرية ... كل هذه الاسباب تضافرت لاخراج عمل فني شعبي يدفع الفن السوري الى الامام .

... والنقطة الهامة جدا ، والتي يمكن أن نربحها من مثل هذا العمل الفني القيم هو جمهور المسرح الذي نفتقر اليه .. بل نبكي عليه ..

طلبت هذا العام من وزارة الثقافة والارشاد القومي بعض الاحصاءات عن موسم المسرح القومي الماضي ،

ولشد ما أدهشني جوابهم من أنهم على استعداد لتقديم جميع الاحصائيات التي أريدها باستثناء عدد رواد الموسم لان ذلك لايشرف .. هذا على الرغم من أن جميع الذين شاهدوا موسم المسرح القومي أكدوا بأن مسرحياته كانت على مستوى جيد ، ومع ذلك لم يستطع المسرح القومي أن يكون لنفسه جمهورا ، لسبب بسيط وواضح وهو أن ما يمثله لا يكوّن ألفة بينه وبين نفسية الشعب ، ولا يستمد موضوعاته من صميم حياة شعبنا ، على عكس الفولكور الذي أحيته الاوبريت ، فعبير الفلاحة ، ومزمار الراعي ، ودردشات الفلاحات ، وتقبيل تراب الوطن .. كل هذا ورثه المواطن عن اجيال عديدة معرفة في القدم .. ولذا هو حين يشاهد الاوبريت ينجذب اليها بعاطفة داخلية عميقة نابعة من نفس أصيلة ..

★ ★ ★

كلمة أخيرة للذين حاولوا أن يغمزوا من قناة الآنسة فطمة الزين بطلة الاوبريت .. لا لشيء سوى لأنها أنصفت ، ولان الظروف لم تتح لهم مشاهدة تعابير وجهها عن كثب .. أتمنى أن تسمح لهم الظروف في فرصة أخرى مشاهدة الاوبريت عن قرب وعندها أجزم ــ ان انصفوا ــ سيعدلو عما قالوه وسيعترفون لفطمة أنها ليست « أمينة رزق سورية » فحسب ... بل ربما أرفع مكانا .

(هـ ١٠)

تطلب مجلة الثقافة في دمشق
من
مكتبة العباسية
مع كافة الكتب الأدبية العربية والاجنبية
☎ ١٧٧٧١ ✉ ٢٧١

اعلان

صادر عن امانة السجل العقاري في حلب

ادعى السيد حسن بن بكري نيره باني انه فقد منه سند تمليك العقار رقم ١٧٩٥/١ من المنطقة العقارية (١١) بحلب قضاء وقدرا وطلب اعطاءه بدلا عن ضائع .

فمن له اعتراض على ذلك فليراجع الطرق القانونية خلال خمسة عشر يوما من تاريخ النشر في الجريدة الرسمية . حلب في ٢٦/٨/١٩٦٤

مدير امانة السجل العقاري بحلب

اعلان

تعلن مؤسسة كهرباء دير الزور عن مناقصة بطريقة الظرف المختوم وبالبريد المضمون لتقديم : ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف متر من الحبال المسلحة للتوتر ٢٠ ك.ف مع ٨ علب وصل و ٦ علب نهاية .

ينتهي قبول العروض في الساعة الرابعة عشرة من يوم السبت الموافق السادس والعشرين من ايلول ١٩٦٤ ، ويجب ان تكون مرفقة بالنشرات الفنية ومتضمنة كافة الايضاحات اللازمة كنوع ومنشأ البضاعة ، اسم الصانع ومدة التسليم الخ ...

على العارض ان يتقيد بدفتري الشروط العامة والخاصة اللذين يمكن الحصول عليهما من المؤسسة لقاء مبلغ خمسة ليرات سورية ، علما بان التأمينات الاولية محددة بـ (٥٠٠٠) خمسة آلاف ليرة سورية تدفع نقدا او بشيك مصرفي مقبول او بكفالة مصرفية مستوفية الشروط القانونية ، وان فض العروض يجري علنا في مبنى المؤسسة بدير الزور ، الساعة الثانية عشرة من يوم الاحد الواقع في السابع والعشرين من ايلول ١٩٦٤ .

المدير العام
لمؤسسة كهرباء دير الزور

كتب وقراء

عبق – شعر حامد حسن

منشورات دار الثقافة بدمشق

طبع الديوان عام ١٩٦٠ ولم تتح لي قراءته الا في وقت متأخر ، ومع ذلك فان من حق الشاعر الزميل علي ان اقول في هذه القصائد كلمة اجهد ان تكون موضوعية .

القصائد احدى وثلاثون في مئة وخمسين صفحة من الحجم الصغير والورق الجيد والطباعة اللطيفه ، رغم بعض الاخطاء المطبعية التي كان من الممكن تلافيها . موضوعها « الهوى والشباب والامل المنشود » الا اقلها .

استوقفتني منها اربع قصائد : امرؤ القيس والعذارى حق ، حنين ، جارة .

قصيدة امريء القيس رائعة في الموسيقى والتصوير الا اني كنت اتمنى ان تنتهي بالبيت قبل الاخير :

خرجت تعثر بالحياء كسيرة النظرات ... غضبى ...

ومن ثم كان من الممكن تلافي « تحفزه للوثب » « والماء في الفجوات » .

وفي حقد ثورة شاعر على الاستعباد ، ثورة تفجرت حقدا ، وما ذنبه ان لم يستطع ان يعبر عن نفسه وعن شعبه بغير الحقد . لا شك بان شدة الحب للناس المظلومين هو الذي دفعه الى الطرف الاقصى من النقمة على الظالمين المستغلين ليصرخ ويردد :

لا ... لن أعيش على الفتات ... فتات مائدة الامير وقصيدة حنين اغنية قيثار تحطم في انمل الشاعر ومات في مطلع انشاده . قصيدة على غاية من الرقة والعذوبة ، رغم اضطراب موسيقا البيت الاخير في تعبير « وخير الخمر » .

في الديوان عواطف ومواقف قد تبدو متناقضة ، وقد تظل صادقة حتى في تناقضها ، فالشاعر يحس حينا بالجبن ، واحيانا بالبطولة والتحدي ، وبالعفاف تارة وبنباح وحوش الدم تارة اخرى وبالحقد الاسود في بعض المقاطع وبالحب حتى التضحية في مقاطع أخرى :

يارب ... حولني الى كرمة مخضلة في حقل حسادي لغة الديوان لغة عربية رفيعة صافية ، في الاجمال لولا الملغمين والبرعوميتين واحتسب الخطايا واللعس ...

وأخيرا يحسن بي ان اشير الى بعض الابيات الجميلة :

واسمعي صوت احتراق الصبر ... في نار انتظاري..

سأعود من خلف الغيوب يخف بي للشاطئين حنين كل شراع

نهد غوي الاماني ، منزف ، بطر
مموج ، مشرئب ، اهوج ، فلق ...
حملت ضلالتي وحملت نسكي
وعشت نجي محراب وحان ...
العمر : ليس العمر غير سلافة
وحبيبة وقصيدة ورباب ...

سلامة عبيد

الظمأ والينبوع

رواية تأليف : فاضل السباعي

نقد : محمود بن الشريف

في ندوة الاستاذ القباني الادبية الاسبوعية بكازينو بوريفاج على شاطيء النيل ثارت عجاجة النقاش حول دور اللهجة العامية في القصة ، واتهم البعض – ظلما وزورا – لغة الضاد بأنها تعجز عن ان تمدنا بكلمات مألوفة تعبر ادق تعبير عن بعض المستلزمات العيش الحالي ومطالب العصر الحاضر ، وزعموا ان العاميه

برزت الفصحى في بعض هاتيك النواحي • وتشاء الظروف أن تصلني هدية اخي الكاتب الاستاذ فاضل السباعي وهي قصته الحديثة « الظمأ والينبوع »قبيل آونة النقاش هذه بقليل ، فكانت تلك القصه هي الفيصل في هذه القضية الادبية المثارة ، فقد كانت بما امتازت به من سلاسة الفاظ وسهولة تعبير وخلوها من العامي والدخيل دليلا أفحم ويفحم هؤلاء الذين نادوا وينادون بأن الحوار العربي يعجز عن ان يقوم مقام الحوار العامي في تبيان خلجات النفس والتعبير عن حاجات العصر المستحدثة • ولغة القصة ـ فضلا عن ذلك ـ تنساب في سهولة وليونة مطواعة ، تزينها تعبيرات جديدة وكنايات حلوة ، من هذا قوله في ص١١ : « وكان يدفع الحياة في شرايين سيارته » ، ومن الكنايات قوله : « اسئلة يمسك بعضها بتلابيب بعض » ص٢٥ ، « وطَعِمَ لذةَ الترحل » ص٣٢ ، الى غير ذلك من الوان الجمال التعبيري التي يحسها كل خبيرمتمكن في اللغة بصير بلطائفها ودقائقها •

وفي خطوات كالتي يخطوها الباحث العلمي المتمكن مؤلفا الفاضل « فاضل السباعي » من الكل الى الجزء ومن العام الى الخاص ، فهو باديء ذي بدء يبلور قصته في كلمتين هما عنوان القصة « الظمأ والينبوع » ، ثم يتدرج في المقدمة فيفصح لنا بعض الشيء في كلمات قليلات عن الجو العام الذي يشمل القصة ، وما ان يبدأ في الفصل الاول حتى نرى التحليل والاسلوب ذا الجرس الموسيقي ، والعبارات التي يأخذ بعضها بحجر بعض ، والمواقف البعيدة عن الغلو والافتعال ، والموضوع الانساني الحيوي الذي تتخلله العواطف الجياشة والاحاسيس العارمة والمطامح الزاخرة بالمطامع الواسعة • والخط النفسي للقصة يسير في غير انحناء او تعرج ويسلمك في النهاية الى غير ما تتوقع ، لذا كان التشوق هو السمة الظاهرة بوضوح في معالم هذه القصة التي تشدك الى متابعتها والمضي معها الى النهاية •

والوفاء العربي هو المحور الذي تدور حوله القصة ، كما ان بين دفتيها تبيانا لشيم العربي وسجاياه التي أثرت عنه من بذل ومروءة ونجدة وأنفة وغيرة و ••• و •••

والقصة ليست خيالية و لامفتعلة الحوادث ، بل هي ـ فيما يبدو لي ـ تجربة صادقة عاشها المؤلف وهو طالب في جامعة شتوتغارت الهندسية ، ولعب دورها على مسرح الحياة الواقعي ، ثم انفعل بها فوشاها بأسلوبه وأججها بعاطفته • وقدمها لنا مؤلفه هذا متضمنة هذه القيم الرفيعة وهاتيك المثل العالية التي تشي بصفات العربي الاصيل وتكشف عن سجاياه واخلاقه وشيمه • والقصة بهذا المنحى تعد لونا من ألوان الادب الواقعي الهادف الذي لا يوغل في الخيال ولا يعمق الاوهام ولا يتحدى الواقع بل يتحدث بما يلائم الفكر وما يوائم الحقائق •

واذا كان الاسلوب بما يحمل من خصائص هو مرآة الكاتب ونفسيته ، فلا شك اننا رأينا في قصة « الظمأ والينبوع » صورة واضحة المعالم لنفسية فاضل السباعي التي تنضح بعديد من الشيم الأصلية النبيلة •

وانني أدعو اخواني النقاد والقراء أن يكملوا ما أراني قصرت في تبيانه تجاه هذه القصة ، وماعجزت حاستي النقدية عن ابرازه ، اذ قد حاولت أن ألتمس ولو وجهة نظر مخالفة تقع تحت طائلة العقوبات النقدية الادبية ، ولكن ـ وأقولها في صراحة ـ أسقط في يدي ان أجد ثغرة في هذا البناء القصصي المتكامل •

واذا كان أديبنا الفاضل « فاضل السباعي » قد تساءل في نهاية قصته فقال : هل يستطيع الاديب ان يبدع عملا روائيا ذا قيمة مالم يتعرض في قرارة نفسه لعصف رياح ما ؟

وأنا أقول ان العمل اذا كان نتاج تجربة وممارسة

فمن غير شك يكون أقرب الى الصدق والحق والواقع ويكون صدى لما عالجه المرء من قبل وكان بمنأى عن الحدس والظن والريب فيكون ، لذلك كله ، أوقع في النفس وأقرب الى القلب قرب « الظمأ والينبوع » الى كل القلوب .

القاهرة محمود بن الشريف

رئيس قسم جريدة « الطلبة العرب »

بوزارة التعليم العالي

سلاسل الماضي

لنزار مؤيد العظم

(٣٢٢ صفحة من القطع الكبير مطابع ابن زيدون دمشق)

بقلم : عيسى الناعوري

نبيل : شاب سوري من مدينة حماه العريقة في تقاليدها الشرقية ، والتي ما تزال بين المدن الشرقية المحافظة ، رغم انفتاحها على مدنية العصر وثقافته ومفاهيمه الحديثة . وهو محسوب على الاسر الارستقراطية العريقة ، ولكنه نشأ في بيت فقير مكافح لأجل العيش المستور ، لم يعرف من ارستقراطية النسب والاسرة العريقة الثرية سوى اسمها ، وفي الوقت نفسه لم يجد من ابناء الاسر الفقيرة المجاورة حتى الرغبة في ان يشاركه ابناؤها في ألعابهم ، فهو من هؤلاء منبوذ ، ومن أولئك – حتى من اعمامه واخواله الاقربين – مجهول مهمل . وبين نبذ الفقراء واهمال الاقربين الاثرياء ، من جهة وفقر اسرته وقسوة نشأته وصرامة والده وعبوسه من جهة أخرى ، ينشأ نبيل نشأة عصامية تبعث على التقدير والاعجاب ، ويضطره شلل والده المفاجىء وعجزه عن العمل الى ان يقطع دراسته المتوسطة ، ويدخل معترك الحياة صغيرا ليصبح هو رب الاسرة وعائلها الذي عليه تعتمد ، وعلى ما يكسبه من عمله في التدريس ، ولكنه من خلال ذلك يواصل ، الى جانب العمل في القرى النائية لكسب العيش ، الجهاد للاستزادة من العلم ، وفي الوقت نفسه يشبع ميلا محببا الى نفسه ، وهو الكتابة في الصحف .

وعن طريق الصحافة تروقه مقالات تنشرها فتاة لبنانية اسمها (مادلين) ، واحيانا تظهر مقالاتها ومقالاته في صحيفة واحدة . ومرة بعد مرة أخذ نبيل يشعر بتقدير لهذه الكاتبة التي لا يعرفها عن غير مقالاتها التي يقرأها بشوق ولذة ، وتثور في نفسه رغبة شديدة في ان يكتب اليها ليعرب لها عن اعجابه ، ويعرض عليها صداقة فكرية لا تقوم على غير تبادل الآراء والتقدير الادبي . وتجد رسالته صدى مماثلا لدى مادلين ، وتنشأ الصداقة التي يريد . ولكنها لا تلبث ان تتطور وتزداد عمقا ، فاذا هناك رغبة في التعارف الشخصي ، فيزورها في بيت والديها في بيروت ، ويتعرف الى والدها الاديب المعروف ، ويجد له مكانا في قلوب الاسرة بأسرها ، ثم تزوره في دمشق .

ببداية هذه الصلة بين نبيل ومادلين تأخذ الرواية بالانفصال عن جو الاسرة الفقيرة التي نشأ فيها نبيل ، وجو الكفاح لأجل العيش والاستزادة من العلم – وان لم تتخل عنهما تخليا تاما لتصبح رواية غرامية : القسم الاكبر والاهم فيها للرسائل المتبادلة بين نبيل – ابن الاسرة الحموية المسلمة المحافظة – ومادلين : الفتاة اللبنانية المسيحية المتحررة ، ولزياراتهما ، وخلواتهما في بيروت ، ودمشق ، وحلب ، وعلى الطريق ما بين حلب وحماه في قلب الليل الصامت المثير ...

الصلة التي بدأت بينهما (صلة أدب وفكر) لم تلبث ان تحولت الى حب جارف طاغ يثير اعصاب نبيل في ليله ونهاره ، وحب مقابل من مادلين ، ولكنه لا يطغى على العقل والوعي وحس المسؤولية الخلقية لديها . ويستمر هذا الحب خمس سنوات ، ينتقل بين لبنان وسوريا ومصر ، ولا تزيده الايام والزيارات والنزهات في سيارة مادلين ، والخلوات البريئة ، سوى

احتدام واضطرام من قبل نبيل ، تقابلهما مادلين بحب عنيف ولكنه حذر ، لا ينساق وراء الشهوة ، ولا يتمرغ بالاثم . وعلى الرغم من ان نبيلا كان يعرف ان مادلين فتاة متحررة الى ابعد حدود التحرر الواعي للمسؤولية : تسوق سيارتها بنفسها ، وتسافر من بلد الى بلد ، وتنزل في الفنادق وحدها دون رجل يرعاها ، وتقابل الرجال وتتحدث اليهم بجرأةومساواة ، وتلاقي نبيلا نفسه في المقاهي والمطاعم والفنادق ، وتحمله في سيارتها الى النزهات خلوية ، وتناجيه ، وتسمح له بأن يناجيها ... على الرغم من ذلك كله كان حبه لها يزداد اشتعالا ، ولا يبالي بنصح من صديق ، ولا بتهديد من والد ، ولا يأبه للفروق الدينية والعائلية والاجتماعية بينه وبينها . وكان يزيد في اضطرام حبه جميع لقاءاتهما ، ونزهاتهما ، وخلواتهما ، ونجوياتهما، طوال خمس سنوات ، لم يستطع نبيل ان يفوز فيها بلمسة او بقبلة ، فقد كانت مادلين تصده دائما ، وتعيده الى مسؤولية الحب الواعي الذي لا ينحدر الى الدنس . واخيرا تسافر اسرة مادلين كلها الى القاهرة للاقامة هناك ، ويسافر نبيل ايضا الى القاهرة، وهناك يخطبها في حفل رسمي . وبعد الخطوبة فقط يستطيع ان يقبلها ، وان تصبح خلوتهما اكثر استجابة للحب الذي يصرخ في جسديهما طالبا الارتواء . وفي أحد الفنادق عاليه يأبى نبيل الا أن تشاركه النوم في غرفة واحدة ، بعد ان وثقت من أنه اصبح رجلها نهائيا ، فتنزل على رغبته بعد المقاومة ، وتستسلم اليه بكليتها ، ولكنه في اللحظة الاخيرة يهيب به حس الامانة والمسؤولية فيرجع عن رغبته العارمة .

من هذه الليلة يعود نبيل « رجلا شرقيا محافظا » ... ولكن شرقيته المحافظة لا تعود تعني غير الانانية، والتزمت ، وتسلط الرجل على المرأة بكل معاني التسلط : فهو لا يريد لها ان تذهب الى مكان ، او تكلم رجلا ، او تعمل شيئا دون ان تستأذنه . يريد ان لا يعود كيان ولا حرية ، لان كيانها وحريتها له وحده ، وبيده هو وحده .

وطبيعي ان تفتر الصلة بعد ذلك بين الرجل الاناني المتزمت المتسلط ، والفتاة التي اعتادت الحياة الحرة الواعية ، والتي تشعر بكيانها ومسؤوليتها وحقها في الحرية وفي استقلال الشخصية . وبينما يملأ الحزن والاسف نفس مادلين على هذا الانقلاب الذي لم تتوقعه بعد ست سنوات من الحب العنيف ، الذي كانت تظنه صادقا مخلصا ، يصبح نبيل وليس في نفسه غير الشعور بالخطأ ، والرغبة في الانفصال والتهرب من العهد . ولا يستريح الا بعد ان يتلقى رسالة من مادلين في القاهرة تصارحه فيها بالحقيقة التي اصبحت تحس بثقل وطأتها ، وهنا يرد عليها برسالة اخيرة يحلها فيها ويحل نفسه مما بينهما من عهد ... ثم : « انقلب الى حماه ، ودخل على ابيه ثم جثم على ركبتيه ، وأخذ يده ولثمها وأعلن : أبتاه ، تستطيع ان تريح بالك ... لقد انتهى كل شيء بيني وبين مادلين ، والى الابد ! ولأول مرة في حياته احس بحنو والده عليه ، والفى نفسه مطوقا بذراعيه ، تغمر وجهه قبلات الابوة . ولقد استشعر سخونة دمعتين تنحدران من عيني ابيه فتبللان وجنتيه ، وسمعه يردد بلهجة ترشح بالسرور : الحمد لله ... عدت الينا اخيرا يا ولدي ! » .

هكذا تنتهي رواية (سلاسل الماضي) . وهي رواية موفقة جدا في حبكتها الروائية ، سائغة في انسياب حوادثها ، يمضي معها القارىء وهو يحس بلذة ومتعة في قراءتها ، وينتقل مع بطليها بين مدن لبنان وسوريا ومصر ، ويلقي بنظره — مع حوادث العشق الدافق فيها — الى جوانب من الاحداث السياسية على الحدود السورية الاسرائيلية ، وفي انقلابات سوريا المتلاحقة ، وفي حرب السويس . ولكن هذه ، وما يتخللها من آراء في السياسةوالوطنية

والقومية العربية ، لا تعدو اللمسات الخاطفة التي لابد منها في ثنايا احداث الرواية وأماكن جريانها •

وهذه الرواية تطرح امامنا قضية اجتماعية وخلقية جديرة بأن نبحثها ونناقشها ، وسأحاول أن اعالجها الآن بما يمكن من الصراحة والاخلاص • فأمامنا شاب من بيئة محافظة ، يتمرد على محافظة بيئته ، ولكنه تمرد يظل مسوقا بالحب الذي يستمر متفجرا ، معطلا منطق العقل والمصلحة لديه ، فيحب فتاة تختلف عنه ، وتختلف بيئتها ودينها عن بيئته ودينه ، فهي :

١ ـ متحررة ، وقد نشأت في بيئة وأسرة متحررتين ، وهو من بلد محافظ ، وقد نشأ في اسرة محافظة •

٢ ـ هي مسيحية ، وهو مسلم يحفظ المثل الذي يقوله اهل بلده : « اللي يحب من غير ملته بموت بغير علته » •

٣ـ هي واعية لمعنى الحب والمسؤولية الخلقية معا ، وهو مكبوت مندفع في عواطفه ، يريد الوصول الى النهاية من اول الطريق ، ولا يمنعه من ذلك الا ثباتها ومقاومتها خمس سنوات كاملة ألهبت فيها كل مشاعره •

٤ـ هي تؤمن باستقلال الشخصية لدى المرأة المثقفة ، أما هو فمن بيئة لا تؤمن بذلك ، وان كان هو نفسه قد ظل يوافقها على ذلك الى ان تمت خطوبته عليها فقط •

وهنا نجد القضية التي نريد بحثها ، وهي ـ في رأيي ـ لا تدخل في نطاق سطوة التقاليد وعنف رواسبها ، بمقدار ما تدخل في صميم عقلية الرجل الشرقي عامة ـ حتى الرجل العصري المثقف ـ هذه العقلية التي تخلع على « الرجولة » أقصى ما يمكن من معاني (التزمت ، والانانية ، وحب التسلط) التي لا تسمح للمرأة مطلقا بأن تكون شخصية ، بل تذيب كيانها ذوبانا كاملا في ارادة الرجل • وهكذا تصبح المرأة مجرد « تابع » تافه : لا ارادة له ، ولا حرية ، ولا كيان ، ولا شخصية •

ونبيل لا يحس بهذا المعنى من « الرجولة » الا بعد ان تثق به مادلين ثقتها المطلقة ، وتستسلم اليه ايمانا منها بأنه أصبح « رجلها » نهائيا ، بعد حب خمس سنوات طوال ظلت فيها مقيدة نفسها بقيود العفة المطلقة ، على الرغم من تحررها وشخصيتها المستقلة القوية ، ووعيها الشديد للمسؤولية •

في الصفحتين (٣١٨ و ٣١٩) يقول نبيل لمادلين غاضبا : « نحن هنا شرقيون ، شرقيون أولو دماء فائرة ونخوة ، واننا لمفطورون على الغيرة على نسائنا ••• محال ان تستطيع مدنية الاوروبيين هدم اسوار الحيطة التي جُبلنا على تسييج شرف الانثى بها بعيدا عن مواطن الريبة ومزالق الخطيئة ••• ذلك شأننا معشر الشرقيون بالامس ، واليوم ، وغدا ••• » •

وحين تسأله مادلين : « متى تتحررون من هذه التقاليد المهترئة ••• بل متى ترفعون أيديكم عنا وتتركوننا نواجه ضوء الشمس » ؟ يجيبها قائلا : « عندما يغدو وبوسعنا ان تتحول الى خنازير ، او الى قردة خاسئين ••• » •

العقلية الشرقية التي فطن نبيل ـ بعد ست سنين من الحب الجارف المندفع والعقلية الراضية بتحرر المرأة ••• ـ الى انه يمثلها ، واقتنع بانها هي السبيل المثلى للرجل ، غريبة في أمرها كل الغرابة : تحب الحرية ، ولكن لنفسها فقط ، لا للآخرين !••• الرجل ينادي بحرية المرأة ، ولكنه يستعبدها هي وحريتها معا في انطاق ارادة الرجولة وسطوتها ••• انه يحب الحرية ، وقد يبذل الروح والدم لأجلها ، ولكن على ان تكون الحرية لذاته وحده ، لا للآخرين • وهذه العقلية الغريبة لا تتمثل في ما بين الرجل والمرأة فحسب ، بل تتمثل كذلك في كل جانب من جوانب حياتنا الشرقية : ألسنا نطالب وننادي بحرية الشعب ، ثم تسوق الشعب أمامنا كقطعان البقر ، لأننا نعتبر حرية الشعب في سيطرة الحاكم وغطرسته وجبروته وطغيانه؟! أليس الشعب ـ في مفهوم عقلية الحاكم الشرقي ـ هو « زوجة الحاكم » التي لا كيان لها ولا ارادة ولا

شخصية ؟!

ثم هناك النقطة التي ما تزال ، في نظري ، لطخةً ووصمة عار في حياة الرجل الشرقي والمرأة الشرقية على السواء ، وهي التي عبر عنها نبيل حين اشار الى « الحيطة التي جُبلنا عليها في تسييج شرف الانثى ... الخ » . الانثى نفسها ـ برغم ثقافتها ، وتربيتها ووعيها الخلقي ـ لا نوليها الثقة في نفسها لتحافظ على شرفها ، بل « يسيج الرجل شرفها بالحيطة » ... يعني بالسيف ... شرف المرأة لا تحفظه المرأة نفسها، بل تحفظه انانية الرجل وتسلط الرجل ، وقتل الرجل لشخصية المرأة وثقتها بنفسها ... بكلمة أخرى : لا تكون المرأة شريفة الا اذا فقدت الارادة ، وفقدت الحرية ، وفقدت الثقة بنفسها ، ووضعت كل اولئك في يد الرجل وحده ... ولنتصور بعد ذلك « شرفا رفيعا » !!! لا يصونه صاحبه ، وانما يصونه «سيف» الحارس ! لا يصونه العقل الواعي لمسؤوليته ، المؤمن بقيمة الشرف والعفة والخلق الرفيع ... بل يصونه تسلط يأتيه من الخارج !..

ولنتساءل بعد هذا : إنسان" مجرد من الحرية ، مجرد من الشخصية ، مجرد من الثقة بنفسه وثقة الآخرين به ماذا يمكن ان يكون ؟... آلة ؟ بهيمة ؟ قطعة أثاث ؟ ... ومن أين تكون للرجل قيمة اذا كانت رفيقة حياته آلة ، أو بهيمة ، أو قطعة أثاث ، مسلوبة المكونات الانسانية الراقية التي تتمثل في الحرية ، والشخصية الواعية ، والثقة بالنفس ، وثقة الآخرين بقدرتها على صيانة شرفها وشرف رجلها ! !

أقول الحقيقة : انني انحني بملء الاحترام امام مادلين ، من بداية حكايتها الى نهايتها ، فقد كانت تتميز بصفات الانوثة الحقة الواعية ، وتتميز الى جانب ذلك بصفات من الرجولة المصممة الكريمة الواعية كذلك ، التي لم يلبث نبيل ، في نهاية حكايته، ان تخلى عنها استجابة « لسيطرة التقاليد وسلاسل الماضي » ... فحين رأت مادلين انها ستفقد بالزواج مقومات انسانيتها عرفت كيف تقف الموقف الذي تمليه عليها هذه الانسانية ، وتركت لنبيل ان « يريح ضميره » الشرقي المحافظ و « رجولته » المستيقظة على قيود التقاليد ، والتي ترى الكرامة في امتلاك امرأة لا انسانية لها ... او على الاصح تعطيل الانسانية الكريمة في رفيقة عمره ...

هذه هي القضية الاجتماعية والخلقية التي تطرحها رواية (سلاسل الماضي) للبحث ، وهي جديرة به كل الجدارة . وشكرا لنزار الذي اتاح لي هذه الفرصة لمعالجتها .

بقيت لي ملاحظة اخيرة على لغة الرواية ، وهي في جملتها سائغة سهلة مترقرقة ، الا ان هناك الفاظا وتعابير كنت احس بانها تصدم الحس البياني لدي . ومن ذلك كثرة استعماله للفظة (آبت) بمعنى (شديد الحر) . وانا اعترف بأنني على طول عهدي بالمطالعة والتأليف ، وتدريسي للغة العربية وآدابها مدة عشرين سنة ، لم اقع على هذه اللفظة أو أحد مشتقاتها ، حتى اضطررت ان اعود الآن الى تلمس معناها في القاموس .

وهناك ايضا كثرة تكراره لعبارات من مثل : (جلسة لا ابهى ولا احلى ... يوم لا اروع ولا امتع ... طعام لا الذ ولا أشهى ... الخ) فهي عبارات ليس فيها طلاوة ولا رقة ولا موسيقى ، في اعتقادي .

وهناك كذلك لفظة (مستحاثات) التي وردت في الصفحة ٣١٩ في قول مادلين : « متى تلقون بهذه « المستحاثات » المنقرضة النسيان ؟ » ، ولست اعرف ـ ولا استطاع القاموس ان ينجدني في معرفة ـ معنى هذه اللفظة ...

وبعد ، فهذه الرواية عمل فني يستحق عليه نزار التهنئة ، فقد قدم رواية كاملة ناجحة ، لعلها من انجح الروايات العربية من حيث الاداء الفني ، وترابط الاحداث وتسلسلها ، ومن حيث المقدرة على الاستئثار باهتمام القارىء من بدايتها الى نهايتها ، فقد جمعت كل عناصر التشويق ، الى جانب ما فيها من عناصر الفن الروائي .

النشاط الثقافي

* « الام والوطن » اكبر عمل فني تقدمه وزارة الثقافة والارشاد القومي على مسرح معرض دمشق الدولي ، وهو اول « اوبريت » يقدم في سورية ، تعتمد على الموسيقى والرقص الايقاعي والحركة الايمائية . بطلة الاوبريت الآنسة فاطمة الزين ، اخراج الخبير الروسي باتاريايا ، ستنتهي الفرقة التي سميت مؤخرا باسم « فرقة امية للفنون الشعبية » من تدريناتها يوم ١٢/٨/١٩٦٤ وستقدم الاوبريت كاملة يوم ١٥/٨/١٩٦٤ على مسرح المعرض .

* اشترك في مسابقة تصميم اعلانات مهرجان مركز الفنون التطبيقية بدمشق بتصميم (٢١) اعلانا حائطيا قياس (٥٠×٧٠) ، وقد صممه طلاب وطالبات فرع الاعلان والغلاف ، وستعرض جميع هذه الاعلانات في جناح « الثقافة والفن » في مدينة معرض دمشق الدولي ، ثم ترسل مع جملة اعلانات سياحية عن سورية العربية في جميع مرافقها الحيوية الاثرية والفنيه والاقتصادية والعلمية الى باريز حيث يقام معرض خاص في هذا الشأن في سفارتنا في باريز .

* صدر حديثا كتاب جديد للاديب اللبناني الكبير ميخائيل نعيمة بعنوان « هوامش » ، ويتناول مواضيع فلسفية عامة ، وتأملات وجودية .

* يوسف الخطيب الشاعر المعروف ، صدر له ديوان شعر جديد بعنوان « واحة الجحيم » وهي قصائد تدور اكثرها حول نكبة فلسطين وحنين الشاعر للعودة الى ارض الوطن .

* في اول تشرين القادم تصدر وزارة الثقافة والارشاد القومي عددا خاصا من مجلة (المعرفه) التي تصدر شهريا ، عن المسرح ، وهذا العدد الممتاز سيشمل ابحاثا عامة عن المسرح في سوريه والبلاد العربية والعالم اجمع وسيشترك في تحرير هذا العدد كبار النقاد والفنانين المسرحيين .

* معرض اول من نوعه يجمع نماذج منوعة عن اعمال فن التصوير الزيتي في العالم بالاسلوب الحديث المعروف في صالة الفن الحديث العالمي بدمشق بعد ان عرض في صالة سان لوكا في روما ، وقد افتتح في أوائل الشهر المنصرم واستمر حوالي الاسبوعين ، وقد أثار هذا المعرض جدلا كبيرا بين الفنانين لما فيه من جرأة وغرابة وطرافة في المعالجة الفنية التي ظهرت في الاعمال المعروضة . وقد اشترك في هذا المعرض فنانون من ايطاليا ، والمانيا ، والولايات المتحدة ، وسويسرا ، واستراليا .

* يقام لاول مرة في سورية معرض للفن النسائي ، في ميدان الفنون التشكيلية من رسم ونحت وحفر وضغط على النحاس وهذا المعرض سيفتتح في (١٠) تشرين الثاني القادم في المتحف الوطني وقد اشتركت فيه السيدات والاوانس : درية حماد ، بهية شورى ، جوزفين تاجر ، منور موره‌لي ، ربيعة الصلح ، شيلا المعلم ، كلور الاخرس ، هدى الايوبي ، زهيرة الرز ، هالة القوتلي ، اقبال قارصلي ، ليلى جانجي ، منى اسطواني ، رتيبة شمس الدين ، بديعة قواص .

* في المركز الثقافي العربي في ابي رمانة اقيم معرض فن الحفر الامريكي المعاصر ، من انتاج طلاب وطالبات معهد برات في الولايات المتحدة ، يضم المعرض ٦٣ لوحة لاربعين فنانا وفنانة ، وكانت اللوحات بين حفر على الخشب والطبع بالشاشة الحريرية والطبع بالالوان المائية بطريقة الزجاج المضغوط .

* « الشرك » مسرحية سيخرجها للموسم القادم الاستاذ خضر الشعار المخرج المسرحي في المسرح القومي ، وسيقوم بالبطولة خضر نفسه .

ادب المناظرة في العصر العباسى ـ بقية ـ

حتى يصل الاول بالثاني كما وصله الله . هـذا هو الموصل ، وأما المفصل الذي لا تجوز صلته فهو قول الله (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) وههنا الكلام تام عند القراء ثم يبتدىء ويقول (وكلمة الله هي العليا) فلو قرأ قارىء (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله) وأراد أن الله أخبر بذلك فقد أعظم الفرية على الله ووصل ما فصله الله ! فصاح المأمون :

ـ أحسنت أحسنت ! فقال بشر :

ـ يا أمير المؤمنين هذا عبد العزيز يريد نص القرآن لكل شيء يتكلم به وهذا مما لايقدر عليه لانه ليس كل ما يتكلم به الناس مما يحتاجون اليه من علم أديانهم يوجد في كتاب الله بنص التنزيل وانما يوجد فيـه بالتأويل ! فقلت :

ـ بل هو موجود في القرآن لقوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وهنا يتقدم محمد بن الجهم ويسأل :

ـ تزعم يا عبد العزيز أن ما من شيء يتكلم به الناس ويتنازعون فيه ويحتاجون الى معرفته الا وعلمه موجود بنص التنزيل لا بتأويل ولا بنقير ! قلت :

ـ نعم ! فقال ـ وقد وضع يده على حصير مبسوط في الايوان ـ :

ـ أوجدني أن هذا الحصير مخلوق بنص القران ! فقلت :

ـ أخبرني عن الحصير أليس هو من سعف النخل وجلود الانعام ! قال : نعم قلت :

ـ وهل فيه شيء غير هذا ! قال :

ـ بل فيه صناعة الانسان حتى صار حصيرا ! فقلت :

ـ قال الله في النخل (أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) فهو نص بخلق النخل والسعف واما الجلود فقال تعالى (والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافـع) وهذا خلق الجلود وأما الانسان الصانع فقال تعالـى (ولقد خلقنا الانسان) فهذا خلق الصانـع ، فصار الحصير مخلوقا بنص التنزيل ، فهل عندك مثل هذا لخلق القرآن ما تذكره ؟ وإلا فقد بطل ماتدعون من خلق القرآن ولم يزل صحيحا أن القرآن كلام الله غيرمخلوق من كل جهة وعلى أي جهة تصرفت :

وهنا يصيح المأمون ويطلب من ابن الجهم أن يخلي بين بشر وعبد العزيز ..

وقال بشر :

ـ يا أمير المؤمنين : عندي أشياء كثيرة إلا أنه يقول بنص التنزيل وأنا أقول بالنظر والقياس ، فلينا طرف بغير النص ودمي حلال ان لم يقل بخلق القرآن الساعة!

فقال المأمون :

ـ ويحك يابشر ، كيف نقول لرجل يناظر بالكتاب والسنة دعهما واخرج الى النظر والقياس هذا مالايجوز !

فأسرعت أقول :

ـ وأنا أقبل يا أمير المؤمنين ، سأناظره على جهة النظر والقياس فان أقررت بخلق القرآن فدمي حلال ، وإن أثبت الحجة على بشر من جهة النظر والقياس كما أثبتها عليه من الكتاب والسنة فقد حل دمه كما شرط ذلك على نفسه .. وأنا أقبل شريطة الا يحيد بشرٍ عن جوابي كما فعل ..

وهنا يستبشر بشر ، ويطمـع هو وأصحابه ، ويظنون جميعا أن عبد العزيز لن يحسن الكلام بعد خروجه عن الكتاب والسنة ..

ثم قلت :

ـ تقول يابشر ان الله خلق كلامه ؟ قال :

ـ أنا أقول ان الله خلق القرآن ! فقلت :

ـ يلزمك في قولك هذا واحدة من ثلاث : أن تقول إن الله خلق كلامه في نفسه أو خلقه في غيره أو خلقه قائما بنفسه وذاته ، فقل ماعندك ! فقال بشر :

ـ أنا أقول انه مخلوق وانه خلقه كما خلق الاشياء كلها ! فقلت :

ـ عدت يا بشر الى الحيدة ! فقال المأمون :

ـ أجبه يا بشر عما سألك عنه ولا تحد عن جوابه بعد أن رضي أن يناظرك في النظر والقياس ! فقال بشر :

ـ ما عندي جواب غير ما قلت ! فقال المأمون :

ـ حاد بشر يا عبد العزيز عن جوابك فتكلم أنت في شرح هذه المسألة ! فقلت :

ـ سألت بشرا عن كلام الله مخلوق هو ! فقال نعم قلت يلزمك واحدة من ثلاث لابد منها ، فان قال إن الله خلق كلامه في نفسه فهذا محال باطل لان الله لايكون مكانا للحوادث ولايكون فيه شيء مخلوق ولا يكون ناقصا فيزيد بشيء اذا خلقه ومن قال هذا فقد كفر بالله وحل دمه ، وان قال إن الله خلق كلامه في غيره فهذا أيضا محال لظهور الشناعة والكفر لانه يلزم قائل هذ المقالة في القياس والنظر والمعقول أن يجعل كل كلام خلقه الله في غير هو كلام الله فيجعل الشر وقول الزور والفحش والخفا وكل كلام ذمة الله وذم قائليه لله ، وان قال خلق كلامه قائما بنفسه وذاته فهذا هو المجال الباطل لانه لايكون الكلام الا من متكلم ، كما لا تكون الارادة الا من مريد ، ولا رؤي ولا يرى أبدا كلام قائم بنفسه فتكلم بذاته ، فلما استحال القرآن أن يكون مخلوقا من هذه الجهات ثبت أنه صفة لله ، وصفات الله غيرمخلوقة فيبطل قول بشر من جهة النظر والقياس كما بطل من الكتاب والسنة !

فقال بشر :

ـ دع هذه المسألة واسألني عن غيرها حتى يخرج بيننا شيء جديد يُسمع ! فقلت :

ـ تقول يا بشر إن الله كان ولا شيء معه ، وكان ولما يفعل شيئا ، وكان ولما يخلق شيئا ! فقل لي اذا بأي شيء حدثت الاشياء بعد أن لم تكن ؟ وهل حدثت بنفسها أم الله أحدثها ؟

فقال بشر :

ـ بل الله أحدثها !

فقلت :

ـ فبأي شيء أحدثها ؟ قال بشر : بقدرته .

قلت :

ـ ألست تقول انه لم يزل قادرا ؟ قال كذلك أقول!

قلت :

ـ وتقول انه لم يزل يفعل ؟ قال : لا ! لا أقول هذا !

قلت :

ـ لابد أن تقول انه خلق بالفعل الـذي كان عن القدرة ، وليس الفعل هو القدرة ، لان القدرة صفة من صفات الله ولا يقال لصفات الله هي الله ، ولا هي غير الله ، وهذا يلزمك القول به !

قال بشر :

ـ ويلزمك أنت أن تقول : انه لم يزل يفعل ويخلق ، فاذا قلت ذلك تبينا أن المخلوق لم يزل مع الخالق !

قلت :

ـ أنا لم أقل هذا يا بشر ، وليس لك أن تحكم عليَّ وتحكي عني مالم أقل ، وتلزمني مالم يلزمني ! إني لم أقل انه لم يزل الخالق يخلق ولم يزل الفاعل يفعل فيلزمني ما قلت ، وانما قلت لم يزل الفاعل سيفعل ولم يزل الخالق سيخلق لان الفعل صفة الله يقدر عليها ولا يمنعه منها مانع !

قال بشر :

ـ ما أقوله أنا هو الله أحدث الاشياء بقدرته فقل أنت ما شئت !

قلت :

ـ يا أمير المؤمنين قال بشر إن الله كان ولا شيء معه ، وانه احدث الاشياء بعد أن لم تكن شيئا بقدرته ، فقلت أنا أحدثها بأمره وقوله عن قدرته . .

فقال المأمون :

ـ قد حفظت عليكما قولكما

قلت : لن يخلو يا أمير المؤمنين أن يكون أول خلق خلقه الله بقول قاله وبارادة أرادها وبقدرة قدرها !

قال المأمون :

ـ هكذا هو ، وقد وافقك بشر في القدرة والارادة وخالفك في القول !

قلت :

ـ يا أمير المؤمنين ، أي ذلك فقد تبيَّن أن ههنا ارادة ومريدا وقولا وقائلا ومقولا له وقدرة وقديرا ومقدورا عليه ، وذلك كله متقدم قبل الخلق ، وما كان متقدما قبل الخلق فليس هو من الخلق في شيء ! وقد كسرت والله قول بشر ودحضت حجته باقراره بلسانه بالنظر والمعقول ، ولم يبق الا القياس ، وأنا أكسره بالقياس إن شاء الله .

فقال المأمون : هات وأوجز قبـــل خروج وقت

الصلاة :

فقلت : يا أمير المؤمنين لو كان لبشر غلامان ، وأنا لا أجد لهما خبرا من أحد من الناس إلا من بشر ، يقال لاحدهما خالد وللثاني يزيد ، وكان بشر غائبا عني بحيث لا أراه فكتب بشر إليَّ ثمانية عشر كتابا يقول في كل كتاب منها ادفع الى خالد غلامي هذا الكتاب ، وكتب إليَّ أربعة وخمسين كتابا يقول ادفع الى يزيد هذا الكتاب ولم يقل غلامي ، ثم قدم بشر من سفره فقال لي ألست تعلم أن يزيد غلامي ! فقلت : قد كتبت إليَّ أربعة وخمسين كتابا وقلت فيها ادفع هذا الكتاب الى يزيد ولم تقل غلامي ! وكتبت ولم أسمعك تقول غلامي وأنا لا أجد ذلك الا منك ولا أعرف خبره من أحد غيرك ، وكتبت إلي ثمانية عشر كتابا ، وقلت فيها ادفع الى خالد غلامي هذا الكتاب فعلمت أنه غلامك ، ثم كتبت إليَّ كتابا جمعتهما فيه فقلت ادفع هذا الكتاب الى خالد غلامي والى يزيد ولم تقل غلامي ، فمن أين أعلم أن يزيد غلامك ولست أعلم خبرهما من أحد غيرك؟ فقال لي بشر : فرطت ! فقلت : بشر فرط فحلفت أن بشرا فرط وحلف بشر أني فرطت حيث لم أعلم أن يزيد غلامه من كتبه ، فأينا هو المفرط يا أمير المؤمنين ؟

قال المأمون :

ـ بشر المفرط

فقال بشر ، وايش هذا مما نحن فيه ، تريد أن تثبت بهذا السؤال عليَّ مالم يكن ! متى كانت هذه المكاتبة مني اليك ومتى كان هذا الكلام ؟

عند ذلك قلت :

اسمع يابشر ! ان الله يا أمير المؤمنين أخبرنا في كتابه الكريم بخلق الانسان في ثمانية عشر موضعا ماذكره في موضع منها الا أخبر عن خلقه وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعا فلم يخبر عن خلقه في موضع منها ولا أشار اليه بشيء من صفات الخلق ، ثم جمع بين القرآن والانسان في آية من كتابه فأخبر عن الخلق للانسان ونفى الخلق عن القرآن فقال الله عز وجل « الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان » ففرَّق بين القرآن والانسان فزعم بشر يا أمير المؤمنين أن الله فرط الكتاب من شيء فهذا كسر قول بشر بالقياس !

فقال المأمون :

ـ أحسنت يا عبد العزيز أحسنت !

وهكذا تنتهي هذه المناظرة الكلامية المتعة ، ويحدثنا الكناني في نهايتها أن المأمون أمر له بعشرة آلاف درهم ، فحملت بين يديه ، وانصرف من مجلسه على أجمل حال وأحسنها (كتاب الحيدة ص : ١٣٥) .

غير أن كتاب الحيدة لا ينتهي بانتهاء المناظرة ، فهناك جزء كبير نشهد فيه عودة الكناني الى مجلس المأمون من جديد ! كما نشهد دموع المأمون تسيل على خديه والكناني يتكلم !

ماذا قال الكناني للمأمون حتى أبكاه ذلك البكاء الشديد ؟ (الحيدة ص : ١٦٤) .

لا بد لقراء (الثقافة) من أن يعودوا الى كتاب (الحيدة) بأنفسهم ليزدادوا بقراءته فائدة ومتعة . ولئن استطعت هذه المقالة أن تغريهم بمثل هذه العودة إنني سعيد بذلك جد سعيد .

الدكتور صالح الاشتر

اعلان

بالنظر للسرعة الكلية تعلن المديرية العامة لمؤسسة الاسكان عن طرح مناقصة بطريقة الظرف المختوم وعلى اساس تقديم عروض لانشاء هياكل واكمالات خارجية وبعض اكمالات داخلية لـ ١٤ عمارة شعبية بدمشق الجديدة من النموذج رقم (١) تشمل (١٨٢) مسكنا منها (٩٨) مسكنا من ثلاث غرف وصالون و (٧٠) مسكنا من غرفتين وصالون و (١٤) مسكنا من غرفة وصالون .

المساحة الطابقية الاجمالية ١٨٠٨٤ مترا مسطحا

مدة تنفيذ العمل ١٢ شهرا

التأمينات الموقتة بواقع ٢٪ من قيمة العرض

التأمينات النهائية بواقع ٥٪ من قيمة العرض

غرامة التأخير بواقع ١٠٠ ل.س عن كل عمارة عن كل يوم .

تفض العروض في الساعة العاشرة من يوم الاثنين الواقع في ٢١/٩/١٩٦٤

يمكن الاطلاع على اضبارة المناقصة في مقر المؤسسة بدمشق الجديدة (مكتب الدراسة والتخطيط) خلال ساعات الدوام الرسمي .

كما يمكن للراغبين الحصول على مستندات ومصورات المناقصة لقاء دفع مبلغ (١٠٠) مائة ليرة سورية تدفع الى صندوق المؤسسة .

المدير العام لمؤسسة الاسكان

المهندس نذير بسمار